

أخبار الأئمة السبعة

ابن الصغير

القرن الثالث الهجري

تحقيق و تعليق

دكتور محمد ناصر

الأستاذ إبراهيم بخاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من أهم البواعث التي حفزتنا على تحقيق هذا المؤلف القيم ونشره ، ما رأيناه من فراغ في المكتبة العربية الاسلامية في مجال تاريخ المغرب الاسلامي عامة ، وتاريخ الدولة الرستمية خاصة . وقد ساعد على احداث هذا الفراغ الهائل عدة عوامل ، قد يكون من أهمها عدم اهتمام الدارسين والباحثين بهذا النوع من الدراسات التي تعتمد البحث والتقصي ، وميل اغلب النashرين الى هذا الانتاج الخفيف الذي يقبل عليه القاريء المعاصر غالبا مثل القصص والروايات والشعر وما اليها .

والحق قد يكون مما ساعد على صعوبة الوصول الى هذا التراث المتعلق بالدولة الرستمية ، انصراف المؤرخين القدامى انفسهم عنها ، وزهدهم في الكتابة في تاريخها ، لا لشيء الا لكون مؤسسيها يتمذهبون بالمذهب الاياضي الذي يصر اغلب اولئك المؤرخين على اعتباره مذهبا من مذاهب الخوارج .

وقد لفت نظرنا كما لفت نظر العديد من الباحثين المعاصرين الزعماء هذا التجني في حق أول دولة مستقلة في المغرب الاسلامي ، استطاعت ان تطبق بحق الديمقراطية والعدالة بين أهلها رغم اختلاف المذاهب والديانات ، ويمكن ان نذكر من بين اولئك المؤرخين ابن عبد الحكم (ت 257 هـ) صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس ، والبلاذري (ت 279 هـ) صاحب الكتاب المشهور فتوح البلدان ، فعلى الرغم من معاصرتهم للدولة

هذا الكتاب :
خاص بمصاحب : عز الدين محمدي
قمت بنسخه سنة ١٤١٥ هـ . بالكتابة الجامعة
عليه منجلي ١٥٥ / ٥٥
الرجاء المحافظة عليه

الرسمية فانها لم يذكرنا من اخبارها الا النزر القليل، والاعجب من هذا ان ينزلق الى هذا التجني الفاضح مؤرخ مغربي شهد له بالموضوعية، وسعة العلم وهو ابن خلدون،⁽¹⁾ ان هذا الانحياز المؤسف جعل باحثا معاصرا يقرر بأن إهمال التاريخ للدولة الرسمية من شأن المؤرخين في المشرق الاسلامي ايضا،⁽²⁾ ونجد من بين الباحثين المعاصرين الاكاديميين من ضرب صفحا عن الدولة الرسمية، فلم يرد لها ذكر في مؤلفه وكأنها لم تخلق قط بينما يذكر دويلات أقل أهمية، ويدعي التاريخ « للثقافة والادب في المشرق والمغرب » وإذا التمسنا عذرا للمؤرخين القدامى الذين كانوا يعيشون ظروفًا اجتماعية وسياسية ونفسية صعبة بحكم قربهم من هذه الصراعات الفكرية والمذهبية، فإي عذر نلتمسه لدكتور جامعي يدعي الاستقلال الفكري، والنزاهة الموضوعية، وينشر كتابه بعد استقلال الجزائر بثلاثين سنة⁽³⁾ !؟

على أن الذين يتحملون المسؤولية الكبرى في هذا الإهمال هم المعنيون بهذا التراث قبل غيرهم من الاباضية، لأنهم لم يبذلوا أي جهد في ازالة التراب عن هذا التراث الذي ما يزال اقلية في رفوف الخزائن الخاصة، وقد عبثت السنون والارضه بالكثير منه، وسوف يأتي يوم يدرك فيه أصحاب هذه الخزائن أنهم اساءوا في حق المعرفة الانسانية كما اساءوا في حق تاريخهم وحضارتهم.

(1) أنظر، المديني أحمد توفيق، مدخل لدراسة الدولة الرسمية، واسهامها في التطور الفكري والحضاري الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي، صفر 1397هـ/فبراير 1977م.
(2) أنظر تفاصيل أكثر في جودت عبدالكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية، م.و.ك. الجزائر، 1984، المقدمة.

(3) أنظر عبد الله شريط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب م.و.ك. ط 3، الجزائر 1983.

ونحن، اذا ذكرنا هذا هنا فانما نذكره بألم شديد، خاصة إذا علمنا أن كتابا مثل كتاب ابن الصغير في تاريخ الأئمة الرسميين أول دولة اسلامية مستقلة في الجزائر، نفتقد اليوم مخطوطه في المكتبات الخاصة الاباضية وفي المكتبات العامة الجزائرية وغيرها، وقد كان موجوداً في إحدى خزائن وادي ميزاب في بداية هذا القرن، حيث اطلع عليه الإستاذ المستشرق (موتيلانسكي A. de C. Motylinski) وذكر أنه، في علمه، لا توجد لذلك الكتاب أية نسخة خطية أخرى في مكان آخر، فهل استولى عليها المستشرقون قبله، كما استولوا على كثير من تراثنا، فافتقدتها خزائن ميزاب بطريقة إن دلت على شيء فانما تدل على تهاون أصحابها وذكاء وحيلة المستولي عليها، وبعد هذا الإهمال الذي أدى إلى اختفاء المخطوط وضياعه، استمرنا في الإهمال والغفلة، ولولا أن الكتاب طبع ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر سنة 1905 م⁽⁴⁾ لكان مصير الكتاب، ولا شك، الضياع والإختفاء، فتلك إذن من جهة أخرى حسنة من حسنات الاستشراق الذي بالقدر الذي سطا به على ثراتنا وحمله إلى بلادهم وراء البحار، بالقدر نفسه احتفظ على ذلك التراث وعمل على نشره، وتصنيف مخطوطاته في مكباته التي فتحتها لجميع التدارسين. من هنا يجب أن نلوم أنفسنا قبل أي أحد آخر على إهمالنا وغفوتنا.

وظل الباحثون يرجعون إلى يومنا هذا إلى ذلك النص المطبوع ضمن أعمال المؤتمر المذكور، وأصبح الحصول عليه عسيراً جداً، وفي سنة 1975-1976 م طبع نفس النص العربي في مجلة العلوم الإنسانية لكلية

Actes du 14^e Congrès international des orientalistes à Alger 1905 3^e partie imp. (4)
Orientale Paris 1908 - Texte arabe avec la traduction de Motylinski et sa préface,

الآداب بتونس وهي المجلة المعروفة بكراسات تونس⁽⁵⁾، وذكر في سطور مدير المجلة الأستاذ طالي محمد، بأن إعادة طبع الكتاب تماماً مثلما فعله موتيلانسكي هو بعيد من أن يأخذ مكانه اللائق به، وقال بأنه ليس في الإمكان إلا إعادته كما هو، باستثناء تصحيح بعض الأخطاء الظاهرة البينة. وتفاءل أن تكون إعادة طبعه لهذا الكتاب سبباً وحافزاً لطبعة أجود. ثم ختم قائلاً « ولكن كيف الحصول على المخطوط ! »⁽⁶⁾.

وفي سنة 1976 م أي في نفس السنة، أستل ما كتب في تلك المجلة عن ابن الصغير: النص العربي وتقديم موتيلانسكي وكلمة مدير المجلة فأعيد طبع ذلك دون زيادة أو نقصان (ربما بالأوفست) لأن الصفحات هنا تتناسب مع الصفحات هناك والذي تغير هو ترقيم الصفحات فقط، وقامت بهذا الطبع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس منشورات جامعة تونس ضمن سلسلة « معرفة المغرب » وتحت رقم XI⁽⁷⁾. وذكر على غلاف هذا الكتاب أن كراسات تونس رأت ضرورة إعادة طبع بعض النصوص التي نشرت في المجلة والتي أصبحت صعبة المنال بالنسبة للباحثين في تاريخ إفريقيا الشمالية.

هذا ما قامت به تونس، وذاك ما قامت به فرنسا، أما الجزائر التي تعتبر الكتاب كتاباً لتاريخها المباشر ومؤلفه جزائري تيهرتي سكن تيهرت عهده الرستيين وكتب مشاهداته أو ما قيل له عن قرب، فإنها لم تعمل

شيئاً من هذا القبيل، ومن هنا كان إهمالها لتراثها، ومن هنا كان تسرب تراثها شرقاً وغرباً، فسبقت في هذا المجال، فهلا من نهوض ويقظة؟

إننا تقدم ابن الصغير في حلة جديدة معتمدين على النسخ المطبوعة المذكورة وعلى نسخة مخطوطة مجوزتنا للشيخ أبي اليقظان إبراهيم، قام باستنساخها بنفسه من مطبوعة أعمال مؤتمر المستشرقين الأنفة الذكر.

ولقد عملنا قصارى جهدنا في تحقيق النص من جميع جوانبه، فلم نترك حسب اعتقادنا، أي مبهم يحتاج إلى فك، أو أية كلمة غامضة تحتاج إلى تفسير أو أي خطأ لغوي يحتاج إلى تصحيح، فرجحنا ما وجدنا سياق الكلام يحتم مع ذكر النص الأصلي أو الكلمة الأصلية كما وردت في الأصل، مخافة أن يكون اجتهدنا خاطئاً، ولقد ترجمنا للأعلام الواردة في النص بالقدر الذي وجدناه في المصادر الإباضية أو غيرها من المصادر المعتمدة، وبيننا بعض الأماكن الواردة في النص مهملين الأماكن المعلوم، أما بعض المواضع التي لم نجدها في المصادر الجغرافية فقد ذكرنا ذلك. وأثبتنا الروايات التي تتفق أو تختلف مع الروايات في المصادر الإباضية، وما سكتنا عنه من ذلك فهو ينفرد به ابن الصغير. وسوف يجد القاريء والباحث توضيحات أخرى في محلها من الهوامش أو المتن.

وقد رأينا إعادة نشر الخلاصة الفرنسية التي كتبها موتيلانسكي حين نشره هذه الرسالة كاملة لأول مرة سنة (1905) في المجلة الإفريقية، فعلنا ذلك حتى يستفيد أولئك الذين لا يحسنون اللغة العربية بالقدر الذي يمكنهم من فهم أمثال هذه البحوث ولعل ذلك خير، كما قمنا بتعريبه تعميماً للفائدة ومساعدة أولئك الذين لا يحسنون الفرنسية، ونود الإشارة هنا إلى أننا قد لا نوافق موتيلانسكي في كثير من الآراء التي ذهب إليها في

(5) Les cahiers de Tunisie, Revue des sciences Humaines faculté des lettres de Tunisie

Tome XXIII N° 91-92 3° et 4° trimestre 1975, pp. 315-368

Ibid p. 313

Faculté des lettres et sciences humaines de Tunis, Connaissance du Maghreb XI (7)

Publications de l'Université de Tunis 1976.

خلاصته تلك ، وقد اكتفينا بابداء رأينا في التعليق على هوامش رسالة ابن الصغير .

ترجمة ابن الصغير والتعريف بكتابه

إبن الصغير هو مؤرخ الدولة الرستمية ، كما تسميه الدكتور و داد القاضي⁽¹⁾ لا نعرف عنه شيئاً كثيراً ، إلا ما ذكره هو بنفسه في كتابه .

كما قننا بوضع عناوين صغيرة للرسالة الى جانب النص الاصيلي اجتهدنا في أن تكون دالة على محتوياتها تسهيلا للقاري العادي والباحث المتخصص ، واعتمدنا عليها في وضع فهرس موضوعات الكتاب وهو لم يكن موضوعا من قبل في النسخة الاصلية .

وإننا إذ نقوم بهذا العمل ، نرجو أن نكون موفقين فيه أولاً ، وأن يلبي طلبات الباحثين في التاريخ الاسلامي ثانياً ، إننا نقدم هذا الكتاب إلى كل القراء والباحثين عامة وفي الجزائر خاصة لأنه كما ذكرنا سابقاً ، لم يسبق أن طبع في الجزائر أو بيع في مكتباتها رغم أنه طبع عدة مرات ، والله من وراء القصد .

ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو اخطأنا .

الجزائر في يوم 04 رجب 1405 هـ / 26 مارس 1985 م

محمد ناصر

ابراهيم بحاز

(1) وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، عدد 45 ، مطبعة البعث قسنطينة ، الجزائر 1387 هـ / 1977 م .

(2) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستمين ، ص 34 .

(3) نفسه ، ص 6

أن يكون كوفياً أو بصرياً أو قروياً ، يتضح لنا هذا من قوله أيضاً في مناظرة جرت بينه وبين أحد الإباضية ، فقال له هذا الإباضي « من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق ... » (4) ، فابن الصغير على ما يبدو لم يكن من مواليد تيهرت وإنما استوطن تيهرت ابتداءً من أواخر دولة أبي اليقظان بن أفلح الذي توفي سنة 281 هـ حسبما ذكره ابن الصغير نفسه (5) .

أما إذا تساءلنا عن مذهب مترجنا ، فالذي نراه أنه إما أن يكون مالكيًا أو شيعيًا ، ولعل الاحتمال الثاني أقرب إلى الصواب ، فالنص الذي ذكرناه قبل قليل عن مناظرة مؤرخنا مع أحد وجوه الإباضية الذي قال له « من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق » إن هذا النص يشير إلى كون ابن الصغير حجازي المذهب أي مالكيًا أو عراقي المذهب ، فالعراق في هذه الفترة يعج بالفرق والمذاهب ولكننا نحتمل أن يكون القصد به هنا المذهب الشيعي .

إن ابن الصغير كثيراً ما أشار إلى ميوله العلوية ولعل أبرز ذلك إيراد حديث « من كنت مولاه فعلي مولاه » فهذا الحديث الذي استشهد به ابن الصغير على خصومه اعتقاداً بصحته في ذلك الوقت بالذات ، دليل على علويته ، لأن هذا الحديث ظل مدار مناقشة المحدثين إلى يومنا هذا تقريباً بين معترف بصحته ورافض لذلك (6) فالشيعة العلويون بطبيعة الحال مؤمنون بصحة الحديث لأنه يخدم معتقداتهم وبالتالي فابن الصغير لم

(4) نفسه ، ص 45

(5) نفسه ، ص 38

(6) الألباني محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ج 4 ، ط 2 ، المكتبة الإسلامية ، عمان 1404 هـ / 1983 م ، ص 330 ، وما بعدها .

يستشهد بهذا الحديث إلا لكونه علويًا شيعيًا ، معتدلاً في نظرنا . هذا بالإضافة إلى ذكره بأن خطب الجمعة في تيهرت كانت خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (7) .

إننا نرجح هذا وهذه الأدلة ونحن نشعر يقيناً أن المسألة ما زالت بحاجة إلى أقلام وبحوث ، فلعل اجتهادنا يكون حافزاً لغيرنا للتدقيق في الأمر أكثر .

ونختم إجمالاً بالقول إن ابن الصغير لم يكن من مواليد تيهرت ، وإنما قصدها في أواخر أيام الإمام أبي اليقظان ، فاستوطنها كما استوطنها الغرباء الذين تحدث عنهم ، لذلك كان الشطر الأول من كتابه إخباراً وروايات استقاها من يثق بهم من الإباضية والشطر الثاني منه مشاهداته الخاصة . وبالنسبة لمذهبه فهو شيعي معتدل غالباً .

أما إذا جئنا إلى كتابه ، فإننا نقابلاً بداية بتعدد عناوينه ، مثل « أخبار الأئمة الرستيين » ، « تاريخ ابن الصغير » ، « سيرة ابن الصغير » ، وقد استعملت هذه التعابير كلها في الكتابات الحديثة ، إلا أن أول نشره من قبل الأستاذ موتيلانسكي يحمل هذه العبارة « ذكر بعض الأخبار في الأئمة الرستيين منقول من ابن الصغير » (8) ، فلعل الكتاب الذي بين أيدينا اليوم ناقص ، وهو ما يمكن فهمه من شبه عنوانه أو افتتاحيته المذكورة ، فذكر بعض الأخبار المنقولة من ابن الصغير لا تعني إلا انتقاء أخبار دون أخرى ، وإلى هذا تشير الدكتورورة وداد القاضي فتقول بأن كتاب ابن الصغير وصلتنا ناقصاً إذ يسكت فجأة في إمامة أبي حاتم يوسف دون أن يشير إلى

(7) ابن الصغير : ص 32 ، 47 .

(8)

نهاية الرستميين ، وتعلل هذا بقولها إن ابن الصغير لما تحدث عن فرس يعقوب بن أفلح الأشقر قال « لم يكن بالمغرب مثله قبله ولا بعده به يضرب المثل إلى اليوم »⁽⁹⁾ وتقول الدكتورة علماً بأن الإمام يعقوب تولى الإمامة مباشرة قبل أبي حاتم ، فقوله « إلى اليوم » تعني بعد مدة ليست القصيرة ...⁽¹⁰⁾

ويعتبر كتاب ابن الصغير المرجع الأول ، وربما الوحيد لتاريخ الأمازيغية ، إيتيم الشيخ محمد مبارك الميلي لغته بالعامية⁽¹¹⁾ ، فهي إن كانت في بعض الألفاظ كذلك ، فالكتاب ككل لا يمكن وصف أسلوبه بالعامية في نظري ، وفي هذا يقول الدكتور محمود إسماعيل إن « أسلوبه ومنهجه كما يتضح في تاريخه للدولة الرستمية ينم عن طول باع في ميدان التاريخ »⁽¹²⁾ .

ويبدو أن ابن الصغير ألف كتابه حوالي سنة 290 هـ حسبما يرى ذلك مترجم الكتاب ونشره الأستاذ موتيلانسي⁽¹³⁾ ، ويؤكد كل من الأستاذ لينسكي⁽¹⁴⁾ ووداد القاضي⁽¹⁵⁾ ، إذ تنتهي أحداث الكتاب في حكم أبي حاتم

(9) ابن الصغير : ص 43

(10) ووداد القاضي : ابن الصغير ، مجلة الأصالة عدد 45 ، ص 40 . من المعلوم أن الأمازيغية لا يعترفون بإمامة يعقوب بن أفلح ، وكذا إمامة اليقظان وكلاهما قفز إلى الإمامة دون مساعدة من الأمازيغية فهم يتوقفون عند الإمام أبي حاتم (قتل سنة 294 هـ) فلعل هذا هو السبب في إهمال الأحداث الأخيرة للدولة الرستمية وذلك بعدم استنساخ الإباضية لها ، خاصة وأن المخطوط الذي وجدته موتيلانسي إنما وجدته بميزاب ومن هنا كانت العبارة « ذكر بعض الأخبار » .

(11) الميلي محمد مبارك : تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ج 2 ، الجزائر 1350 هـ / ص 69 .

(12) محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1976 ، ص 9 .

(13)

Actes du 14^e Congrès, op.cit p. 4

(14) Lewicki T.: L'Etat nord-africain de Tahert et ses relations avec le soudan occidental cahiers d'études africaines vol II (8) Paris 1962, p.515.

(15) ووداد القاضي : مجلة الأصالة عدد 45 ، م 40 .

الذي امتد إلى سنة 294 هـ . ولم يشر إطلاقاً إلى اليقظان بن أبي اليقظان ، هذا إذا اعتبرنا الكتاب الذي بين أيدينا كاملاً لم يستطع منه آخره .

أما إذا تحدثنا عن محتويات الكتاب فالحقيقة أن ابن الصغير جمع أخبار الأئمة الواحد تلو الآخر بالترتيب ، وأطنب في الحديث عن بعض الفتن ، كفتنة ابن عرفة أو المنافسة التي جرت بين الإمامين أبي حاتم وعنه يعقوب على السلطة⁽¹⁶⁾ ، حتى ليخيل للقارئ أن ابن الصغير إنما ألف تأليفه لذكر الفتن والثورات التي مرت بها تيهرت ، ابتداء من الإمام الثاني عبد الوهاب إلى الإمام أبي حاتم يوسف .

واعتمد ابن الصغير في كتابة تاريخه على مصدرين : الرواية الشفوية وهي تسيطر على الجزء الأكبر من كتابه ، والمشاهدة التي لا تبدأ قبل فترة أبي اليقظان الذي عاصر ابن الصغير أيامه الأخيرة . وفي الرواية الشفوية يذكر ابن الصغير أحد رواته وهو أحمد بن بشير⁽¹⁷⁾ الذي يبدو أنه ابن لأحد المقرّبين من الإمام أبي اليقظان ، مما يضيف أهمية على أخباره ومما يجعل مصادره قريبة من الأحداث التي يؤرخ لها .

إن الأمانة العلمية التي التزم بها ابن الصغير لم تمنعه ، كما تقول ووداد القاضي من ممارسة حبه التقدي للروايات بصفته مؤرخاً . وهذا ما يمكن ملاحظته في الروايات التي رواها . وتدور حول موضوع خطير في ذاته ، خطير في نتائجه وجدته ، إذ يشعر ابن الصغير بالتحرج الشديد « وقد ظهر ذلك منه مرتين : الأولى عندما جاء في الرواية أن أفلح بن عبد

(16) ابن الصغير : ص 37 وما بعدها ، ص 53 وما بعدها .

(17) ابن الصغير : ص 48 ، وأنظر قبها ص 45 .

تاريخ « ابن الصغير » عن أئمة تاهرت الرستمين

تأليف : موتلانسي
ترجمة : د/ محمد فاسر

في دراسة منشورة سنة 1885 تحت رعاية مدرسة الآداب بالجزائر ،
قدمت معلومات موجزة عن أئمة تاهرت الرستمين منسوبة الى مؤرخ يدعى
« ابن الصغير » .

وسأقدم هنا ترجمة للنص الكامل لهذا المخطوط الذي لا يوجد منه
- حسب علمي - سوى نسخة وحيدة بوادي ميزاب ، وكان المفروض أن
تصحب (الترجمة) معلومات وافية عن الاصول العقائدية والتاريخية
للاباضية ... عن بداية وتطور المذهب في المغرب (الاسلامي) ...
معلومات عن الاحداث التي سبقت أو ساعدت على تأسيس تاهرت ، ولكن
هذا العمل كما يبدو في إطاره المحدود الضيق ان هو سوى مساهمة متواضعة
في تاريخ الخوارج بافريقيا وهو يحتاج الى دراسات أعمق مما دفعنا الى
الالاح على بعض التساؤلات التي عولج بعضها بطريقة مجزأة ، ولأهميتها
فاني سأحيل (القاري) الى سير أبي زكرياء المترجمة والموثقة من طرف
الفقيه « ماسكاري » (1) .

وليسمح لي أن أذكر من بين المراجع ، الدراسات المتواضعة التي قمت بها

⁽¹⁾ يشير هنا الى كتاب « سير الأئمة وأخبارهم » المعروف بتاريخ أبي زكرياء وقد نشر مؤخرا
بتحقيق إسماعيل العربي عن المكتبة الوطنية بالجزائر وكان قد ترجمه « ماسكاري » . أنظر Emile
masquery, la chronique d'abou Zakaria Alger 1878.

الوهاب عمد إلى سياسة فرق تسد ... والمرة الثانية في قصة تأليب وجوه
الرستمين لأبي بكر بن أفلح ضد ابن عرفة فالرواية هنا ذهبت إلى أن
أبا اليقظان بالذات هو الذي قام بتحريض أبي بكر علي ابن عرفة وباقتراح
منه » (18) .

ويكاد يخلو كتاب ابن الصغير من ذكر التواريخ ، أو ذكر أخبار
الدولة الرستمية خارج تيهرت ، وكأنه خصه لتاريخ تيهرت لا غير . وإذا
أردنا ختاماً تقييم المؤلف على ضوء كتابه ، وقيمه التاريخية ، فإنه لا يسعنا
إلا إعادة تكرار ما قالته الدكتورة وداد القاضي من أن « القراءة الدقيقة
لتاريخ ابن الصغير تدل على أن ابن الصغير لم يكن مجرد راوية للتاريخ
وإنما كان مؤرخاً حقاً » (19) .

لهذه الأسباب كلها وللأهمية المذكورة للكاتب والكتاب تقوم اليوم
بتقديمها رغم عدم عثورنا على المخطوط . ونشير إلى أننا أمام اختلاف
وتعدد عناوين الكتاب رأينا ترجيح هذا العنوان :

☆ أخبار الأئمة الرستمين ☆

لأنه الأقرب إلى نص الكتاب ، وهو الأقرب إلى شبه العنوان الذي ظهر
به أولاً .

(18) وداد القاضي : الأصول عدد 45 ، ص 44 .

(19) نفس المرجع ص 49 . وأنظر كذلك الدكتور محمود إسماعيل : الخوارج ، حيث يقول
إن ابن الصغير ن مؤرخاً دقيقاً ناهياً . ص 9 .

عن اباضية الشمال الافريقي وهي : القرارة منذ تأسيسها⁽²⁾ . جبل نفوسة⁽³⁾ ، العقيدة الاباضية⁽⁴⁾ ، وقد نشرت هذه الدراسة الاخيرة بالمجلد الذي صدر عن مدرسة الآداب بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر الذي يجمعنا⁽⁵⁾ .

لأن تاريخ ابن الصغير يعد من أقدم الوثائق المتعلقة بتاريخ اباضية المغرب ولا يمكن ادراجها ضمن هاتيه السير المؤلفة من طرف المؤرخين الاباضيين ، مثل سيراوي زكرياء ، وطبقات الدرجيني ، وجواهر البرادي ، والسير للشماخي ، وغيرها من الدراسات الثانوية التي تكون في مجموعها ، الأسس الحقيقية لتاريخ اباضية ميزاب ، واخوانهم بحرية ، وجبل نفوسة ، ذلك لأن عمل ابن الصغير هو عمل مؤرخ أجنبي عن المذهب يسكن تاهرت الرستية تحت حكم آخر حكمها ، ان عمل ابن الصغير هو عمل مسلم لا ينتهي الى المذهب الاباضي عاش تحت حكم الدولة الرستية في آخر أيامها ، دفعه الى حب الاطلاع الى جمع معلوماته عن عبد الرحمن بن رسم وخلفائه من أفواه اباضية تاهرت انفسهم .

ان تاريخ ابن الصغير يتوقف عند حكم أبي حاتم يوسف الذي خلف أباه أبا اليقظان سنة (281 هـ) وقد خلع أبو حاتم من الحكم وخلفه يعقوب بن أفلق ثم عاد الى الحكم مرة ثانية ، وابن الصغير لا يخبرنا عن الحوادث الغنيمة المأساوية التي سبقت سنة أو بسنتين تدمير تاهرت من طرف البدائية أبي عبد الله (الشيعي) سنة (296 هـ) مما يدل على أن ابن الصغير كتب تاريخه حوالي (290 هـ) .

(2) يشير الى كتابه : Guerrara depuis sa fondation :

(3) أنظر مؤلفه : Le Djebel Nefousa

(4) أنظر : L'aquida des Ibadhites. recueil de memoires et de textes publié en l'honneur du XIV conge international des orientalistes, Alger 1905. Paris, 1908.

(5) يعني به المؤتمر العالمي للمستشرقين المنعقد بالجزائر في 1905 .

وإذا نظرنا الى قيمة هذا العمل من حيث هو تاريخ عام للاباضية فانه لا يكتسب هذه القيمة التي يكتسبها تاريخ أبي زكرياء ، بل هو أشبه ما يكون بحكاية موجزة عن أمراء الرستيين كما هو وصف لمدينة تاهرت الاباضية ، وصف لحياتها ونزاعاتها الداخلية والخارجية هذه النزاعات التي أدت الى سلسلة حروب طويلة بين الاخوة ، ومع ذلك فان هذه السيرة تبقى ذات أهمية لمن يريد معرفة بعض الحوادث والاخبار التي مر عليها المؤرخون الاباضيون مرور الكرام أو أنهم أغفلوها محافظة على دور الزعامة الدينية تزيهاً وحرصاً على عدم الاضرار بسمعة المذهب⁽⁶⁾ .

أسست تاهرت سنة 144 هـ من طرف عبد الرحمن بن رسم في الظروف التي يعرفها الجميع ، وسرعان ما ازدهرت وكثر سكانها المتكونون أساساً من جماعة قادمة من نفوسة تابعة أمامها (عبد الرحمن) ومن بعض المهاجرين من افريقيا ، غير أن الاباضية المتجمعين في المدينة الجديدة لم يسندوا الامامة الى عبد الرحمن الا حوالي 160 هـ أو 162 هـ حسب أبي زكرياء .

فورنيل (Fournel) يظن أنه من المنطقي اعتبار حكم عبد الرحمن يبدأ من السنة نفسها التي أسست فيه تاهرت (البربر ، ص : 91،90) ، أنه على العكس تماماً اذ من الطبيعي اعتبار بداية امامته سنة 160 هـ والواقع أنه ينبغي ألا ننسى أن أبا حاتم الملوذي - الذي يعتبره المؤرخون السنيون مجرد زعيم لثورة البربر - قد عينه الاباضية (اماماً للدفاع) سنة 145 هـ واستطاع بذلك أن يتزعمهم ويجمع حوله كل قوى الخوارج حتى

(6) يبدو موتيلانسي هنا مبالغاً لان ماورد في تاريخ ابن الصغير عن الفتن الداخلية لا يختلف عما ذكره أبي زكرياء مثلاً .

(7) لم ننتد الى هذا المصدر المشار اليه هنا .

سنة 155 هـ السنة التي قتل فيها أبو حاتم بمكان يدعى (جنبي) وذلك من طرف جنود يزيد بن حاتم .

هذه الكارثة التي أدت - حسب النويري - الى افناء ثلاثين ألفا من البربر وهي ضربة موجعة للخوارج اذ كانت السبب ، غالبا في حركة الهجرة من نفوسة ومن هوارة ومن القبائل الأخرى نحو المغرب الأوسط فرارا من سلطة يزيد بن حاتم ، وهكذا تجمع الاباضية حول عبد الرحمن بن رستم ، وبذلك تزايدت جماعاتهم وارتفع سكان مدينة تاهرت مما سمح بسكان المدينة والبادية الاباضيين بمنح اسم « الامام » لزعيمهم عبد الرحمن بن رستم ، وهكذا تأسست في قلب المغرب مملكة بربرية يحكمها أمراء اباضيون من أصل فارسي ، ويتتابعون في الحكم حتى سنة (296 هـ) .

المؤرخون يذهبون الى أن امامة عبد الرحمن دامت ست أو ثمان سنوات ، ولكن المؤرخ ابن الصغير يخبرنا ببساطة وبحسن نية ، ويألف بأنه نسي عدد سنوات حكم عبد الرحمن ، وبشهادة الجميع فان عبد الرحمن كان مثالا للبساطة والزهد والنزاهة ، ويخلفه ابنه عبد الوهاب الذي حكم مدة طويلة دامت أربعين سنة وكانت السنوات الأولى لحكمه هادئة سعيدة ، ولكن سرعان ما كثرت النزاعات ، والصراعات المستمرة بنظريات دينية حول الامامة وأحقيتها - وهي التي طالما حللها أبو زكرياء - كما راح عنصر البدو يطمحون - كما كانوا يفعلون ذلك في النجود والصحراء - الى القيام بدور بارز في تسيير شؤون المدينة والتأثير مباشرة في الامامة ، وهنا نرى أول انشقاق داخل المدينة ويتولد عنه ظهور فرقة « النكار » ، وهكذا سال الدم من هنا وهناك ، مما أدى الى قتل ميون بن عبد الوهاب من طرف المشققين ، وحسب رواية أبي زكرياء فان الامام نفسه لم يفلت من ضرباتهم الا بفضل حزمه ، ويقظته ، ان المدينة البربرية حيث كان الاتحاد

والوفاق سائدا أصبحت لها صفوفها وقد أخذ التفرق والتحزب يعمل حتما على انهيار المملكة .

وخلف أبو سعيد أفلح أباه عبد الوهاب ، وكان حكمه أطول حكم عرفته الدولة الرستمية اذ دام خمسين أو ستين سنة ، كان متصفا بالحزم والشجاعة ، وقد تهيأ للزعامة بفضل الحروب التي لعب فيها دورا ملحوظا ، وقد تحول للتسيير قبل وفاة أبيه واستطاع أن يحكم بكل جدارة واستطاعت تاهرت أن تشهد في عهده تحولا هاما ، وبفضل حنكته السياسية استطاع أن يجمع حوله القبائل ويحصل على هيبتها مع المحافظة على السلم والاستقرار بين الاباضية وغيرهم من سكان المدينة أما أبو بكر ابن أفلح فلم يصل الى الحكم ، بعد وفاة أبيه الا بفضل غياب أخيه أبي اليقظان الذي سجنه العباسيون حين ذهابه لاداء فريضة الحج⁽⁸⁾ ، وكان أبو بكر فارسا وسيما يحب الآداب واللهم ، ولا يملك صرامة اسلافه مما جعل صهره محمد بن عرفه يسيره كما يشاء .

وبعد عودة أبي اليقظان من المشرق أخذ يتهيأ في سرية تامة للوصول الى الحكم متظاهرا بالاحترام التام لأخيه ، وكان يعمل جاهدا لاكتساب الشعبية ، واستطاع بذلك أن يجمع حوله جماعة نفوسة ذات الأهمية فهي معروفة بمساندتها الدائمة للأسرة المالكة الرستمية ، واغرى أبو اليقظان أخاه ليتخلص من محمد بن عرفه الذي بدأ يقلقه ، ولكن اغتيال هذه الشخصية التي كان لها تأثير معتبر في المدينة أدى الى حرب أهلية طويلة .

وهكذا اضطر أبو بكر الى مغادرة المدينة حيث أصبحت الفوضى ضاربة أطنابها لعدة سنوات .

(8) سجنه الواقع مع أخيه المتوكل ببغداد ثم أطلق سراحه هذا الأخير بعد توليته الحكم .

ما أبو اليقظان فقد أوى الى قبيلة (لواته) مع نصرائه الذين استطاع ان يكسبهم الى جانبه وهبنا نصب اماما ، ووجد نفسه ملزما بالعودة الى المدينة والاستعانة بقوات نفوسة وطرابلس ، وبمساعدهم استطاع أن ينتصر على آخر المقاومين ، ويأخذ السلطة نهائيا .

ان كتاب السير أغفلوا الحديث عن نهاية أبي بكر كيف كانت ، وإبن الصغير يقرر أن مدة حكم أبي اليقظان دامت أربعين سنة ، ويحدد سنة موته بعام (281 هـ) .

ويخلف أبا اليقظان ابنه جاتم يوسف الذي جاءت به الى الحكم احدى لفرق بالمدينة دون موافقة القبائل الأخرى وهو ما جعل مدة حكمه - التي يقول المؤرخون أنها دامت احدى عشرة سنة - مليئة بالحروب الاهلية لدامية .

ان موقعة (مانو) (9) (283 هـ) كانت الضربة القاضية للخوارج في المغرب الشرقي وهزت سلطة بني رستم في جميع الانحاء .

بعد ان اسرة بني رستم اصبحت متعددة منقسمة على نفسها بسبب الإحن والحروب وهو ما ساعد ولا شك ، على اضعاف سلطة الحكام الرستميين وأصبحت القبائل تملك سلطة مصير الحكام الذين أصبحت تعينهم كما تشاء وتتهم ، وبهذه الصفة رأينا طرد أبي حاتم من المدينة والتجاء الى قبيلة حوارة المتحالفة معه لمحاربه عمه يعقوب بن أفلاح الذي عين اماما خلفا له ، استطاع عزله بدوره وبمساعدة القبائل دائما استطاع استرجاع الحكم .

وننا يتوقف تاريخ إبن الصغير ، ونستطيع عن طريق أبي زكرياء أن

(9) أنظر تفاصيل هذه الواقعة بتاريخ أبي زكرياء . ت. اسماعيل العربي الجزائر 1979 .

نعرف أن يعقوب بن أفلاح استطاع الفرار من تاهرت ابان سقوطها في شوال من سنة (296 هـ) ويلجأ الى مدينة ورجلان مع ولده ابو سليمان .

أما بالنسبة لأبي حاتم الذي يذكره ابو زكرياء في الصفحات (217-218) (10) فان حكمه انتهى بعد قتله من طرف أخيه اليقظان أو من طرف أبناء هذا الاخير ونعلم أن اليقظان - الذي لم يستطع الحفاظ على الحكم الا مدة قليلة - قتله الداعي أبو عبد الله الشيعي مع عدد كبير من عائلة بني رستم .

وهكذا تزول تاهرت الاباضية بعد (152 سنة) من الوجود وتحمد دولة بني رستم التي طبقت الامامة مدة (134 أو 136 سنة) .

ان تسلسل الاحداث التاريخية لهذه الاسرة ما يزال غير ثابت ،

ولا يمكن الاطمئنان الى التواريخ التي يقدمها إبن الصغير أو آخرون عن مدد حكم الامراء الرستميين ان هذه المدد ثلاثون ، ... أربعون ... أو خمسون سنة ان هي الا أرقام عشرية تقريبية ، والواقع أن المرء يستطيع بعد جمع هذه الأرقام التي تؤرخ مدة حكم الرستميين - دون عدد مدة أبي بكر ويعقوب - أن يدرك أن مجموعها يتجاوز المدة التي عاشتها الدولة الرستمية نفسها . وفي هذا الشأن يمكن الرجوع الى الجدول التاريخي الذي أعده (رينيه باسيه Rene Basset) بعد مقدمة بحثه القيم مزارات جبل نفوسة (11) .

وقد شكلي

(10) لم يوضح موتيلانسكي هنا النسخة التي اعتمدها . وهي ولا شك مخطوطة لكن يمكن الرجوع الى تحقيق اسماعيل العربي لكتاب سير الأئمة لأبي زكرياء ص 99
(11) يشير هنا الى كتاب Basset R. les sanctuaires du djebel neffoussa, Paris, 1889.

ذكر بعض الاخبار في الأئمة الرستميين

منقول من ابن الصغير .

ولاية عبد الرحمن بن رستم

أخبرني غير واحد من الإباضية عن من تقدم من آبائهم قالوا لما نزلت الإباضية ⁽¹⁾ مدينة تاهرت ⁽²⁾ وأرادوا عمارتها اجتمع رؤسائهم فقالوا قد علمت انه لا يقيم امرنا الا امام ⁽³⁾

(1) الإباضية فرقة من الفرق الإسلامية ، يرجع بروزها إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، ونسبت إلى عبد الله بن إياضي التيمي الذي كان في الحقيقة لا يصدر في أمره إلا عن الإمام جابر بن زيد الأزدي التابعي ، إذ يعتبر هذا الأخير عند الإباضية أس المذهب وإمامه . واشتهرت الإباضية ضمن فرق الخوارج ، فهي وإن كان ظهورها مرتبطا بتلك الحركة ، إلا أنها انشقت عنها لما ظهر غلو بعض المتطرفين من الخوارج ، فبرزت فرقة مستقلة منفصلة عن الخوارج منذ بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري . أنظر الدرجيني : طبقات المشايخ ، ج 2 ص 205 ، الشماخي : سير ، ص 77 ، عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، ص 44 وما بعدها ، مهدي هاشم طالب : الحركة الإباضية في المشرق ، (رسالة ماجستير غير مطبوعة) بغداد ، 1977 . بحار إبراهيم : الدولة الرستمية (رسالة ماجستير نوقشت في بغداد سنة 1983 م) ، ص 80-73 .

(2) من المعلوم أن الإباضية نزلوا موضع تاهرت ، وهم الذين بنوا المدينة قديما بعد ، وليس كما يمكن أن يفهم من نص ابن الصغير الذي جعل تاهرت مدينة مبنية نزلها الإباضية . ولا بد من الإشارة إلى أن لفظ تيهرت أصح من تاهرت ، كما أن تيهرت أو تاهرت مدينتان قديمة وحديثة ، وتقع تيهرت (العاصمة الرستمية) على بعد 9 كيلو مترات من تيهرت اليوم ، وتبعد عن مدينة الجزائر العاصمة في الشمال الشرقي منها بحوالي 430 كلم وتفصلها مسافة 240 كلم عن مدينة وهران في الشمال الغربي منها . أنظر البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 68-67 ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص 138 أبو زكرياء : سير ، ص 53 ، أطفيش : الرد على العقبي ، ص 70 وأنظر خاصة بحار إبراهيم : الدولة الرستمية ، الفصل الثاني من الباب الأول ص 81 وما بعدها .

(3) تنقسم الإمامة عند الإباضية إلى أربعة أقسام تعرف بمالك الدين وهي إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان . أنظر شروح هذه الأنواع من الإمامة في مقدمة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع ، ص 72-69 ، عوض خليفات : النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال

رجع اليه في احكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا
سلاتنا ونؤدي اليه زكاتنا ويقسم فينا ، فقبلوا امرهم فيما
منهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه راس او راسان او اكثر
دبر أمر القبيل ويستحق امر الامامة فقال بعضهم لبعض
م رؤساء ولا نأمن ان يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته
، فل المقدم ان يرفع اهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد
سيات ويكثر الاختلاف ويقل الإئتلاف ولكن هذا عبد
الرحمن بن رستم (4) لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له
مميته وقد كان الامام أبو الخطاب (5) رضي لكم عبد الرحمان
دنسيا وناظرا فقلدوه اموركم فان عدل فذلك الذي اردتم
بن سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا
شيرة تدفع عنه . فأجمعوا رايهم على ذلك ثم نهضوا اليه مبايعته إماما

فريقية في مرحلة الكتان ، ص 109-113 ، بحار ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 79-80 . والجدير
بالذكر أن نص ابن الصغير يشير إلى إمامة الظهور .

(4) عبد الرحمن بن رستم (160 هـ - 171 هـ) مؤسس الدولة الرستمية ، تكاد المصادر جميعا
تتفق على أن عبد الرحمن فارسي الأصل حتى الذين عامروا الرستميين مثل اليعقوبي تجعلهم من
نفرس إلا أن ابن الصغير لا يشير صراحة إلى هذا التسبب وإنما يذكر أن عبد الرحمن لا قبيلة له
يشرف بها ولا عشيرة تحميه . أما المسعودي فيرى أن الرستميين من الأشبان الذين اختلف في
نبيهم فمنهم من يقول أنهم من ملوك فارس الأولى ، ومنهم من يذهب إلى أنهم من ملوك
لأندلس اللذارقة (جمع لذريق) والمسعودي مع هذا الرأي الآخر . حول نسب عبد الرحمن بن
رستم أنظر بحار ابراهيم : الدولة الرستمية ، الفصل الثاني من الباب الأول « عبد الرحمن بن رستم
حياته ونسبه » ص 92 وما بعدها . وارجع إلى : اليعقوبي : البلدان ، ص 104 المسعودي : مروج
ذهب ، ج 1 ، ص 186 ، 357-358 .

(5) أبو الخطاب عبد الأعلى بن المحم المعافري الجني ، أحد حملة العلم من الإباضية إلى
نغرب أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الكتان في البصرة بعد جابر بن زيد
لأزدي . التقى أبو الخطاب الجني ببعثة المغرب في مدرسة البصرة وتتكون تلك البعثة من عبد
الرحمن بن رستم وعاصم السدراتي وأبي داود القبلي النفازي وإسماعيل بن درار القدامسي . مكث
جميع في البصرة عند أبي عبيدة مدة خمس سنوات (135 هـ - 140 هـ) فتكونت بذلك « ما »

باجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الامام في ابتدائنا (6)
ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على انفسنا فقد علمت انه لا
يصلح امرنا الا امام نلجأ اليه في امورنا ونحكم عنده فيما
ينوب من اسبابنا . فقال لهم ان اعطيتوني عهد الله وميثاقه
لتستطيبيوا الي وتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك
منكم فاعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل
ما شرط عليهم وقدموه على انفسهم والقوا اليه بايديهم .
فسار بهم بسيرة جميلة حميدة اولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه
في احكامه حكما ولا في سيره سيرة (7) ، وسارت بذلك
الركبان الى كل البلدان ، وكانت له قصص حكوها لا يمكن
ذكرها الا على وجه ، وان اتم الصدق فيها ولا احرفها على
معانيها ولا ازيد فيها ولا انقص منها ، اذ النقص في الخبر
والزيادة فيه ليس من شيم ذوى المروءات ولا من أخلاق
ذوي الديانات ، وان كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين
ولمذاهبهم مستقلين ، فنحن وان ذكرنا سيرهم على ما اتصل

يعرف عند إباضية المغرب . بحملة العلم الحسة . ولما همت البعثة بالرحيل والعودة إلى المغرب
لنشر المذهب الإباضي ، إقترح عليها شيخها أبو عبيدة أن نسوا من أنفسهم قوة وأرادوا إعلان
إمامة إباضية ، أن يعقدوها لأي الخطاب وكان كما اقترح إذ بويح أبو الخطاب بالإمامة سنة 140 هـ
واستطاع أن يدخل القيروان سنة 141 هـ . فعين عبد الرحمن بن رستم والياً عليها أو قاضيا
وناظراً بتعمير ابن الصغير . أنظر : أبو زكرياء : سير . ص 37 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ،
ص 19، 23، 29 . محمد إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص 64-65 ، بحار ابراهيم : الدولة
الرستمية ، ص 65 .

(6) يشير هنا إلى تعيين أبي الخطاب عبد الأعلى بن المحم المعافري عبد الرحمن بن رستم
والياً على القيروان سنة 141 هـ .

(7) تكاد رواية ابن الصغير توافق الرواية الإباضية فيما يخص تولية عبد الرحمن بن رستم
أنظر : أبو زكرياء : سير . ص 53-54 ، الدرجيني : طبقات ج 1 ص 41 .

بنا وعدلهم فيما ولوه فلسنا ممن تعجبه طلاوة افعالهم ، ولا حسن سيرهم ، لما نعلمه من براءتهم ممن والاه رسول الله ﷺ وقال « من كنت مولاه فعلي مولاه » (8).

اخبرني غير واحد من وجوه الاباضية عن سلفهم ، لما ولي عبد الرحمن بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر ميزره واحسن سيرته وجلس في مسجده للارملة والضعيف ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فطار ذلك في اطراف الارض مشارقها ومغاربها حتى اتصل ذلك من اخوانهم من اهل البصرة (9) وغيرها من البلدان ، فلما غلبوا ذلك من أمره جمعوا اموالا عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم ، وقال بعضهم لبعض : قد ظهر بالمغرب امام ملاء عدلا ، وسوف يملك المشرق ويملاء عدلا ، فانفضوا اليه بما معكم من هذه الاموال حتى تردوا المدينة التي سكنها فان كان على ما تقل لنا من حسن طريقته وصحة سيرته فادفعوها اليه ، وان كان على غير ذلك فانظروا الى افعاله وما يتولاه من الاحكام بين رعيته ثم اتونا بذلك كله ، فضى القوم حتى اتوا

(8) حديث « من كنت مولاه فعلي مولاي ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » حديث صحيح أخرجه الترمذي ، المجلد الرابع ، صفحة 327 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ويذكر ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة هذا الحديث تحت رقم 1750 . وبعد ذكره عدة طرق للحديث قال « وللحديث طرق أخرى كثيرة ، جمع طائفة كبيرة منها الميثقي في الجمع ، وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيد بصحة الحديث يقيناً ، وإلا فهي كثيرة جداً ... قال الحافظ ابن حجر منها صحاح ومنها حسان » الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ط 2 ، م 4 ، المكتبة الإسلامية عمان . الدار السلفية الكويت 1404 هـ / 1983 م . ص 330 ، 343 .

(9) يقصد هنا إباضية البصرة ، إذ من المعلوم أن البصرة هي مهد الإباضية ومنها انطلق المذهب الإباضي نحو مختلف الأفاق .

المدينة ونزلوا المصلى الذي به اليوم قبر (10) مسالة ، فاناخوا جالهم ووضعوا احامهم وتقدموا مع القادمين معهم حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا (11) يسألون كل من لقوه من الناس عن دار الامام عبد الرحمان ، حتى وقفوا عليها واصابوا عند بابها غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقاقا فيه ، والغلام يناوله ما يصلح به فسلموا على الغلام فرد السلام ثم قالوا هذه دار الامام ؟ فقال نعم ، فقالوا له استأذن لنا منه وأعلمه أنا رسل اخوانه اليه من البصرة ، فرجع الغلام رأسه الى سيده وقد علم انه سمع كلامهم ، فقال قل للقوم يصبروا قليلا ، ثم اقبل على ما كان عليه من اصلاح عمله حتى انقضى والقوم ينظرون اليه وهم شاكون فيه هل هو صاحبهم ام لا ، حتى نزل عن سطحه الى داره فغسل ما كان بيده من أثر الطين ثم توضأ وضوء الصلاة فأذن للقوم فدخلوا عليه فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد وليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه وريحه وفرس مربوط في ناحية من داره ، فسلموا عليه وأعلموه أنهم رسل اخوانه اليه ، فأمر غلامه باحضار طعامه فاتاه بمائدة عليها قرص سخن وسمن وشيء من ملح ، فأمر بتلك القرص فهشمت وأمر بالسمن فلتت به ، ثم قال : على « اسم الله » أدنوا وكلوا ثم أكل معهم

(10) في نسخة الشيخ أبي اليقظان وردت (بئر مسالة) ولعل ذلك من تصحيحاته .

(11) من المعروف أن لتيهرت أربعة أبواب فبالإضافة إلى باب الصفا الذي ذكره ابن الصغير هناك باب الأندلس وباب المنازل وباب المطاحن ، أنظر البكري : المقرب ، ص 66 ، الباروني : الأنهار الرياضية ، ج 2 ، ص 27 .

بأكلهم ، فلما انتقضى طعامهم قال : ما مرادكم وما جاء بكم ؟ فقالوا له نجب ان تاذن لنا حتى نخلو فيما بيننا ثم نكلمك بعد ذلك فقال افعلوا فجلسوا نجيا فقال بعضهم لبعض يكفيننا من السؤال عنه ما رأينا منه من اصلاحه لداره بنفسه ، ومطعمه وملبسه ، وحلية بيته ، فما نرى الا ان ندفع اليه المالك ولا نشاور احدا فيه ، وكان الذي معهم من المال ثلاثة اجمال . فاجمع رأيهم على حمل المال اليه ، ورجعوا اليه ثم قبلوا عليه ، فقالوا ، أعزك الله ، معنا ثلاثة اجمال من المال بعث بها اليك اخوانك لتنفق بها على زمانك وتصلح به شأنك ، فقال هذه الصلاة قد حضر وقتها وغن نخرج الى المسجد الجامع فنصلي بالناس ونعلمهم بما جئتم به ، فقالوا الامر اليك . فخرج وخرجوا حتى اتوا المسجد الجامع فصرى بالناس فلما انصرف من صلاته نادى مناد الا يتخلف من كل قبيلة وجوهم ففعل الناس ذلك ، فلما انتقض الناس وبقي من يفوض اليه الامر من وجوهم ، قال للرسول اعلما اخوانكم لما جئتم له ؟ فأعلموهم بمثل ما أعلموه ، ثم عطف على الناس فقال ما ترون ، فقالوا ان هذا رزق ساقه الله الينا من طوع اخواننا بلا سؤال منا فنرى ان ترسل الى هذا المال وتحضره بين يديك فتجعل منه ثلثا في الكراع (12) وثلثا في السلاح وثلثا في فقراء الناس وضعفائهم ، فقال للرسول قد سمعتم ما يقول اخوانكم فما تقولون ؟ قالوا نقول

(12) الكراع اسم يجمع الخيل والسلاح وربما المقصود به في نص ابن الصغير الخيل فقط .
أنظر ابن منظور : لسان . م 3 ، ص 245 .

سمعا وطاعة ، فاحضروا المال فقال عبد الرحمن أريد ان تقيموا حتى يصرف المال في وجوهه ثم تنصرفون الى اخوانكم فتعلمونهم ذلك ثم جزأوا المال اثلاثا امتثال ما عقدوا عليه وذلك يحضر من الرسل ، ثم قال للرسول انصرفوا على بركة الله اذا شئتم (13) . (وأنه لما وصل المال ، واشتروا للقوم الكراع والسلاح وقوي الضعيف وانتعش الفقير حسنت احوالهم وخافهم جميع من اتصل به خبرهم وأمنوا ممن كان يغزومهم من عدوهم ورأوا أنهم قادرون على غيرهم ومن كانوا يخافون ان يغزومهم ، ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الاموات (14) وغرس البساتين واجراء الأنهر (15) واتخاذ الرحاء (16) والمستغلات (17) وغير ذلك ، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقاصي الاقطار ، فقال (18) : ليس احد ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم (19) لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة

رخاء وأمن
الدولة الرستمية

(13) لا تختلف رواية ابن الصغير عن رواية المصادر الإباضية إلا في بعض الإضافات . أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 54 ، الشاخي : سير ، ص 140 .

(14) إحياء الأرواح الميتة .

(15) النهر جمعه أنهار ونهرٌ لنهرٌ يكون « الأنهر » خطأ ابن منظور لسان ، م 3 ، ص 728 .

(16) الرحي تجمع على أرح وأرحاء ورحي ورحية والأخيرة نادرة لذلك يكون استعمال « الرحاء » خطأ . ابن منظور : لسان ، ج 1 ، ص 1144 .

(17) المستغلات وردت في الأصل المستقلات وهي لا معنى لها . أما المستغلات فهي من أصل كلمة غلة ومعناها الدخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض ، واستغلال المستغلات : أخذ غلتها . وأغلت الضيعة : أعطت الغلة . ابن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 1010 .

(18) فاعل الفعل « قال » ضمير مستتر تقديره من أخبر ابن الصغير من وجوه الإباضية وكثيراً ما يستعمل ابن الصغير هذه الطريقة فيذكر الفعل « قال » أو « قالوا » ويحذف الفاعل .

(19) وردت في الأصل أظهرهم وهي خطأ لأن جمع « ظهر » أظهر وظهور وظهران . ابن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 655 .

امامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله ، حتى لا ترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري . وهذه لفلان القروي ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين ، واستعملت السبل الى بلد السودان⁽²⁰⁾ وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ، فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر ، والعامة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون ، فلما كانت السنة الثالثة اجتمعت الإباضية بالمشرق وتراسلوا فيما بينهم ، وقدم القوم وجمعهم البصرة فقال بعضهم لبعض ، اذا اتصلت بهم الاخبار من كل الاقطار مع ما جاءتهم به رسلهم مما عاينوه وشاهدوه ، امامكم بالمغرب خلف من ابي بلال مرداس بن اديبة⁽²¹⁾ ومن ابي حمزة الشاري⁽²²⁾ ، فلا تدخروا عنه مالا ولا تحبسوا عنه

(20) السودان كلمة أطلقها الجغرافيون العرب المسلمون وهم أول من أطلقها على الشعوب السوداء التي تسكن إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ولراجع أن الكلمة مستوحاة من لون بشرة تلك الأقوام . وينقسم السودان إلى ثلاث مناطق هي : السودان الشرقي والسودان الأوسط والسودان الغربي ، ولعل ابن الصغير يشير إلى السودان الأوسط والغربي . أنظر الكتب الجغرافية القديمة مثل بلدان اليعقوبي أو مسالك وممالك الاسطخري وابن خردادبة وغيرهم . وراجع دائرة المعارف الإسلامية مادة « السودان » م 12 ، ص 347، 334، 327 . بحفظهاهم : الدولة الرسمية ، ص 206 وما بعدها .

(21) أبو بلال مرداس بن اديبة التميمي ، من الشراة الإباضية الذين ثاروا ضد ولاة بني أمية في المشرق . أنظر ترجمته في : المبرد أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ، ص 82، 52 . الدرر جيني : طبقات ، ج 2 ، ص 226-214 . عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، ص 65 وما بعدها .

(22) أبو حمزة الشاري هو المختار بن عوف الأزدي . قام بشورة عارمة في الحجاز في أيام الخليفة الأموي مروان بن محمد (132-127 هـ) . أنظر ترجمته في ابن الأثير : الكامل ، ج 4 ، ص 316، 314، 307، 297 . الدرر جيني : طبقات ، ج 2 ، ص 272-258 . عوض خليفات : نشأة ، ص 117 وما بعدها .

عطاء وابعثوا اليه بجميع ما بأيديكم ليتقوى به على دينه وديناه ، فانكم تنالون بذلك شرفا عاجلا وغناء أجلا ، فأجمع رأيهم على ان يوجهوا اليه بعشرة اجمال من المال وارسلوا الى رسلهم الاولين وأعلموهم بما جمعه من المال . وان ذلك كله في سر وخفاء من العمال والاجناد لئلا يطلعوا عليهم فيهلكوهم ، وسألوهم كتمان ذلك فأجابتهم الرسل الى ما دعوم اليه من حمل الاحمال وتوجيههم بها الى عبد الرحمان ، فلم تزل بذلك حتى اتت البلد ونزلت بالموضع الذي نزلت به أولا ، ثم توجهت نحو عبد الرحمن فوجدوا الامور قد تبدلت واحوال المدينة والاشياء قد حالت وذلك انهم نظروا الى قصور قد بنيت وإلى بساتين قد غرست وإلى ارحاء قد نصبت وإلى خيول قد ركبت وإلى حفدة قد اتخذت السور⁽²³⁾ والعبيد والخدام قد كثرت فلما رأوا ذلك تحولت نياتهم الى ان قصدوا قصر صاحبهم فلقوه على ما عرفوا من التواضع فلم يعلموه بما أتوا به ولا ما حركهم اليه حتى لقوا رجالا ممن يثقون بهم في دينهم⁽²⁴⁾ ويستند اليهم في امورهم فسألوهم عن أحوال عبد الرحمن هل تغيرت وعن احكامه هل تبدلت ، فقالوا بل هو على ما عاينته عليه ، ما تغير ولا تبدل ، ثم أعلموهم بما جاءوا به من المال وعدد الاحمال فقالوا لهم ادفعوها اليه فانه لا يصرفها الا في وجهها

(23) لعل المقصود بالسور هنا هو الأبنية إذ السور هو كل منزلة من البناء ، أنظر لسان العرب ، م 2 ، ص 237 مادة « سور »
(24) وردت في الأصل « أديانهم » وهي ضعيفة .

الازدهار
التجاري
والعمراني

ومواضعها وما نحسبه يقبلها منكم ، فاحذوا بقولهم ثم اتوا عبد الرحمن فسلموا عليه وأعلموه بما قدموا به وبحال من خلفوه من اخوانه فسر بذلك . وسألهم عن احوالهم هل هم مستضعفون ام هم مستظهرون⁽²⁵⁾ ، وهل في سائرهم فقراء او اصحاب فاقة ، أم لا . فأعلموه انهم مستترون غير ظاهرين . وانهم مستضعفون غير قادرين ، وان يجامعتهم مثل ما يجامعة الناس من الغناء والفقير . ثم وعدهم ان يحضروا المسجد الجامع بعد صلاة الظهر ليعلموا اخوانهم بما قدموا به ، ففعلوا ذلك ، فلما انصرف الناس من صلاتهم . نادى مؤادي عبد الرحمان ان يتخلف وجوه الناس وينصرف سائرهم ، ففعلوا ذلك ، وكان عبد الرحمن قد أمر الرسل بإحضار المال الى المسجد الجامع ليوقف عليه ويرى عدده ، ففعلوا ذلك ، فلما انصرف يوم الناس . وتخلف وجوههم . أمر بالاحمال فاحضرت ، ثم قال للرسل تكلموا فتكلمت الرسل الى الناس بمثل ما كلمت عبد الرحمان ، فقال عبد الرحمن للناس ما ترون ؟ قالوا الامر اليك ، فقال إذ اردتم الامر الي فياني أرى أن ترد هذه الاموال الى أهلها فيدفعونها لمن يستحقها من فقرائهم وضعنائهم . فإننا انما كنا قبلنا ما قبلنا منهم في اول بدء امرهم للحاجة التي كانت بنا اليه والفاقة التي لزمت عوام اخواننا ، فالآن اننا مستغنون عن اموال غيرهم . فتشق كلام

(25) يقصد بهذه العبارة الإباضية المشرق في إمامة الكتان أم في إمامة الظهور ارجع لمعرفة هذه الأنواع من الإمامة إلى : أبو حفص بن جميع : مقدمة التوحيد ص 72-69 ، عوض خبيثات : النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ، ص 109-113 .

عبد الرحمن على الرسل وعلى جماعة من الناس فعاودوه على ذلك مرة بعد اخرى بالآيمان الغليظة فكثروا⁽²⁶⁾ على نفسه الا اقبل منها دينارا ولا درهما ولا أدخل في يدي شيئا من ذلك ، فلما استيأس الرسل والناس من ذلك ، أمر برد الاموال الى أهلها . وانصرف الرسل بالاموال حتى وصلتها ، فعظم بذلك عند القوم حظ عبد الرحمن وزاد في قدره ، ورأوا انه لو كان طالبا دنيا لرغب في الاموال ، فعند ذلك رغب القوم في امامته ورأوا انها فرض عليهم⁽²⁷⁾ ، ثم لم تنزل الرسل تختلف وتطلع الاخبار عن الاحوال . والبلد زائدة عمارتها في ذلك كله ، والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت امواله ممتلئة ، واصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب ، واهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في اوان الطعام فيقبضون اعشارهم في هلال كل ...⁽²⁸⁾ من اهل الشاة والبعر ، يقبضون ما يجب على اهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون ، فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعر ، فاذا صارت اموالا دفع منها الى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم امر باحصاء الفقراء والمساكين ، فاذا علم عددهم امر

النظام الاداري والاقتصادي

(26) وردت في الأصل « فكرها » ولعل الصواب ما أثبتناه في المتن .

(27) أنظر رواية المساعدات والأعمال من المشرق في المصادر الإباضية ، وتكاد تتفق مع ما ذكره ابن الصغير : أبو زكرياء : سير ، ص 54 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 45-46 ، الشافعي : سير ، ص 140-141 .

(28) هكذا وردت في الأصل ، ويبدو أن كلمة سقطت لم ينقلها مولفنا أو أهلها وردت كذلك في المخطوط الذي نقل عنه .

باحصاء ما في الأهرام⁽²⁹⁾ من الطعام ، ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء وزيتا ثم دفع في كل اهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه⁽³⁰⁾ ، ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما اشبه ذلك ، فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأمره ما يكفيهم في سنتهم ، ثم إن فَضْلَ فَضْلٍ ، صرفه في مصالح المسلمين . فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عليه ولا طاعن يطعن عليه . الى أن أخترمته المنية ، وأنقضت أيام مدته . وقد كنت وقفت على عدد امارته كم كانت ، ولكن نسيتها مع مرور الايام⁽³¹⁾ ، وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب . وكان محمود الافعال ، وكان قادرا للقيام بعده فلما انقضت أيامه ضيرت الاباضية الامر اليه بعده .

وفاته
عبد الرحمن

ولاية عبد الوهاب⁽³²⁾ وما كان من امره

اخبرني بعض الاباضية ان عبد الرحمان بن رسم لما مات ، قامت الاباضية فعمدت الامامة لابنه عبد الوهاب ، فكان ملكا ضخما وسلطانا قاهرا ، وعلى يديه افتقرت الاباضية ، وافتقر كبراؤهم ، وتسمى قوم منهم بالنكار⁽³³⁾ وتسمى منهم قوم بالوهبية⁽³⁴⁾ ، وهذا الاسم لست اعرفه ، وقد سمعت انهم إنما سمو بهذا الاسم لاتباعهم عبد الوهاب ، والذي اعرف من اسمائهم على ما حدثني به اهل المعرفة ان فرقة منهم يسمون باليزيدية يريدون من اتبع عبد الله بن

(32) عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171-208 هـ) ثاني الأئمة الرستميين أنظر ترجمته في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير ، ص 56 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 47 وما بعدها ، الشاخي : سير ، ص 144 وما بعدها .

(33) النكار : هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري ، وسماوا بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن وثاروا ضده . ولقد تطورت هذه الفرقة التي انسلخت عن الإباضية الأم . والجدير بالذكر أن ابن الصغير يفسر سبب تسمية النكار بهذا الاسم (أنظر الصفحة التالية) تفسيراً مخالفاً لما ذكره المؤرخون الإباضية . فربما هي حادثتان اختلطتا على ابن الصغير ولكن من المؤكد أن الرواية الإباضية هي الأصح والأرجح . أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 58-65 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 48-56 . الشاخي : سير ، ص 146-154 . عوض : النظم ، ص 116 .

(34) الوهبية هي الإباضية الأم الحاكمة في الدولة الرستمية . وهي نسبة إلى الإمام عبد الوهاب . وظهرت التسمية إثر فتنه النكار السالفة الذكر . أنظر خاصة عوض خليفات : النظم الإجتماعي والقبلي ، ص 117 . وهناك من ينسب الوهبية إلى عبد الله بن وهب الراسبي . أنظر جواهر البرادي .

(29) الأهرام جمع هري وهو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان . أنظر ابن منظور : لسان ، م 3 ، ص 801 .

(30) إذا كان ابن الصغير يشير إلى أن عبد الرحمن كان يؤثر بأكثر أموال الزكاة أهل الفاقة من مذهبه . فلا شك أن ذلك راجع إلى أن أغلب السكان من الإباضية ، وبالتالي يكون أغلب دافعي الزكاة من الإباضية وزكواتهم تعود إلى أهل مذهبهم كما أن زكاة غير الإباضية ترد إلى فقراء غير الإباضية . أما أن يمنحوها كلها فهذا ما لم تشر إليه المصادر بل تثبت العكس تماماً . وعن حق غير الإباضية في الزكاة في الدولة الإباضية أنظر الدليل والبرهان لأهل العقول لآبي يعقوب يوسف نوارجاني . ج 3 ، ص 54-53 . الجيظالي اسماعيل : قواعد الاسلام ، ج 1 ، ص 104 .

(31) تولى عبد الرحمن بن رسم الإمامة مدة إحدى عشرة سنة أي من سنة 160 هـ حتى سنة 171 هـ ، أنظر الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 99 ، 101 ، 159 ، 163 . مجاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 118-119 وأنظر رأيا آخر في : جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص 62 .

يزيد⁽³⁵⁾ ، وبالعمرية يريدون من اتبع عيسى بن عمر
وبعده احمد بن الحسين⁽³⁶⁾ ، ورايت من يسمى بالوهبية
يميلون الى هذين المذهبين⁽³⁷⁾ ويسمون أيضا بالعسكرية ،
وهم اهل العسكر⁽³⁸⁾ ، وجل من كان عندنا في البلد من
نفوسة يتسمون بهذا الاسم ، وكان عبد الوهاب هذا قد اجتمع
الازدهار

(35) اليزيدية وهم أتباع عبد الله بن يزيد . ولعل ما قاله الدكتور عوض خليفات من أن
النكار سموا باليزيدية نسبة ليزيد بن فندين له جانب من الصحة ومن هنا فمن المحتمل أن يكون
اليزيدية هم النكار لا غير ولعل هذه التسمية أطلقوها على أنفسهم رافضين كلمة « النكار » التي هي
اسمية تخلفيهم لهم . ونشير هنا إلى أن الشهرستاني ذكر « اليزيدية » وقال بأنهم أتباع يزيد بن
اسمه وأن هذا كان يتبرأ من جميع فرق الخوارج ويتولى الإباضية وذكر لليزيدية عدة اعتقادات
دطلة . فندها ابن حزم وقال بأن جميع الإباضية يكفرون من قال بشيء من تلك المقالات
وسبرؤون منه . إلا أن ابن حزم يجعل اليزيدية نسبة إلى يزيد بن أبي أنيسة . أنظر ابن حزم :
المعسل في الملل . ج 4 . ص 188-189 الشهرستاني . الملل والنحل . ج 1 . ص 183 . عوض
خليفات : المنظم . ص 116 .

(36) العمرية وهم أتباع عيسى بن عمر وأحمد بن الحسين . لا نجد لهم ذكراً في كتب الملل
والنحل . وقد أشار إليهم أبو زكرياء في سيره ونقل عنه الدرجيني وقال بأن العمرية أو
لعمرائية لا تجمعهم بالإباضية الكلمة من أول الأمر وأنهم يزعمون أنهم إباضية ويستندون مذهبهم
إلى عبد الله بن مسعود (رض) وهم تبع عيسى بن عمر . أبوزكرياء : سير . ص 58 . الدرجيني :
طبقات . ج 1 . ص 48-47 .

(37) إذا كانت اليزيدية كما قلنا سابقاً نسبة إلى يزيد بن فندين النكاري . والعمرية تنسب
فلسها إلى الإباضية وهي ليست منها . فلا يعقل أن يكون الوهبة . وهم الإباضية الأصل في شمال
أفريقيا . يميلون إلى هذين المذهبين كما يقول ابن الصغير . والذي نراه أن معلومات ابن الصغير فيما
عن المذاهب والفرق التي انشقت عن الإباضية . معلومات مرتبكة لا دقة فيها . وقد أشرنا إلى
هذا في مسألة « النكار » (أنظر هامش 33 صفحة 37) ويتضح هذا الارتباك أيضاً في قوله
وهذا الاسم نست أعرفه ... والذي أعرف من أسمائهم على ما حدثني به أهل المعرفة ... وقد
هذا النص .

(38) العسكرية وهم أهل العسكر كما يقول ابن الصغير ويضيف بأن جل من كان في تيهرت
النفوسيين يتسمون بهذا الاسم . فلا شك إذن أن تكون هذه التسمية تسمية وظيفية وليست
هوية كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة . خاصة وأن ابن الصغير جاء بها في معرض حديثه عن
التناقض في الإباضية والمذاهب المشتقة . فالعسكرية إذن هم حماة الرستميين والإباضية ولا أدل على
ذلك من قول الإمام عبد الوهاب : « إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأمواًل مزاتة » فنفوسة
كانت جند وعسكر الإمامة الرستمية .

له من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع للإباضية قبله ، ودان
له ما لم يدين لغیره ، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم
يجتمع لأحد قبله ، ولقد حكى لي جماعة من الناس انه قد
بلغت سمعته الى ان حاصر مدينة طرابلس وملاً المغرب
بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى
ذلك وامور الناس مجمعة وكلمتهم واحدة لا خارج عليه ولا
طاعن ، الى ان حدثت الفرقة ولم يكن لأبيه عبد الرحمان
كتاب معروف من تأليفه ، وكان لعبد الوهاب كتاب
معروف بمسائل نفوسة الجبل⁽³⁹⁾ ، لأن نفوسة كتبت اليه في
مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة مما سألت عنه ،
وكان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهوراً عندهم معلوماً
يتداولونه قرناً عن قرن ، الى ان لحق الفصل فاخذته عن
بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه .

(39) يذكر الأستاذ محمد علي ديبوز هذا الكتاب باسم « نوازل نفوسة » ويقول بأنه لا يزال
موجوداً في مدن ميزاب وجبل نفوسة وجربة . وقد رأينا كتاباً بهذا العنوان في مكتبة الشيخ
بلحاج بالقرارة ، تصفحناه كله وهو يحتاج إلى تحقيق نسبته إلى عبد الوهاب . وقد قام الشيخ
أطفيش محمد بترتيبه . أنظر ديبوز : المغرب الكبير ، ج 3 . ص 272-273 . والبرادي : الجواهر .
ص 219 .

بيان السبب الذي كان له وجه الافتراق

اخبرني غير واحد من الاباضية وغيرهم ، أن قبائل مزاتة وسدراته وغيرهم ، كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في أشهر الربيع الى مدينة تاهرت واحوازا لما حولها من الشلا⁽⁴⁰⁾ وغيره ، وأنه لما أراد الله تبارك وتعالى من امر شتاتهم ما اراد انتجعوا اليه في سنة الفرقة اكمل انتجاع ما انتجعوه⁽⁴¹⁾ قط ولو مرة ، وكانوا اذا انتجعوا دخل وجوهم ورؤساؤهم المدينة ، فيبرون ويكرمون ثم يخرجون الى شياهم ويعيرهم فيقيمون بها الى ظعنهم ، وانه لما كان الوقت الذي اراد الله ونزلوا المدينة خلا بهم وجوه اخوانهم ، فخلت مزاتة ببيضات المزاتة ومقاديمهم وخلا كل قبيلة من سكان المدينة عن انتجع اليهم من رؤسائهم ، فقالوا لهم ان الامور قد تغيرت والاحوال قد تبدلت ، قاضينا جائر ، وصاحب بيت مالنا خائن ، وصاحب شرطتنا فاسق ، وإمامنا لا يغير من ذلك شيئا ، وقد جاء الله بكم فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن قاضيه وصاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا ، وان يولى علينا خيارنا ، فاجابوهم

(40) الشلا : بقية المال ، ولعل الصواب الكلا والخطأ من الناقل .

(41) وردت في الأصل هكذا « اكمل انتجاع انتجعوه قط » والتعريف واضح .

الى ما يسألون من ذلك ، فعدوا⁽⁴²⁾ على عبد الوهاب (أوفى كانوا)⁽⁴³⁾ فلما دخلوا عليه تكلم متكلمهم بحمد الله واثني عليه ، فقال له ان رعيتك قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك فاعزلهم عنهم ، وولى عليهم خيارهم⁽⁴⁴⁾ ، فقال عبد الوهاب : جزاكم الله من وفد خيرا فقد تم من الاسلام ما يفتقده من كان مثلكم ، الامر اليكم قدموا من رأيتم واخروا من رأيتم ، فدعوا له واثنوا عليه ، فقالوا خيرا ثم انصرفوا ، فلما انصرفوا دخل على عبد الوهاب وجوه رجاله وقواده واهل بطانته ، فقالوا : ما بال اخواننا اتوك اليوم بأجمعهم فأخليت لهم مجلسك وحجبت من سواهم ؟ فذكر لهم ما قالوا له وما أشاروا عليه ، فقالوا له : وما أجبتهم به ؟ فذكر لهم جوابه ، فقالوا له : أسأت الى نفسك والينا والى جميع اخوانك ورجالك ، فقال : وكيف ذلك وما سألو شططا وما قالوا الا خيرا ؟ فقالوا : ليس نظرهم عند ما قلت ولا معناهم عند ما رأيتم ولكن سألوكم ان تعزل قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك ، فاذا فعلت ذلك شكروك وحمدوك ، ثم اتوك بعد ذلك فقالوا لك ان المسلمين قد تقموا عليك اشياء او على ولدك ، فان اجبتهم الى ذلك شكروك وحمدوك وان ابيت لهم من ذلك خلعتكم ونبذوك ، ثم لا تأمن ، ولو اجبتهم

(42) وردت في الأصل فعدوا .

(43) هكذا وردت ، وهي شبه جملة زائدة لا معنى لها إلا أن تعني الكثرة إذا ما أضفنا إليها " ما " وتصيح " أوفى ما كانوا " ورغم ذلك تبقى غامضة ركيكة .

(44) وردت في الأصل " وولى عنهم " وهي لا تؤدي المعنى المقصود

الى كل ما سألوكم ان يأتوك فيقولوا لك ان المسلمين في ابتداء امرك لم يجتمعوا عليك فانخلع واردد اليهم امرهم ، فان اجتمعوا عليك جملة فزت بحظك وكان ذلك زيادة لك في شرفك ، قال : فما الذي افعل الآن فقد تقدم من جوابي لهم ما تقدم ، وقبيح لمثلي ان يرجع فيما قال ، فقالوا : لا عليك نحن نذكرك ان شاء الله ، فقال اذكروا على بركة الله ، فقال القوم : يأتونك بالغداة ويستخبرونك قلت لهم الامر على ما كنت معكم عليه الا ان لنا ولكم اخوانا لا غنى لنا ولكم عنهم ، يحضرون خلع من خلعتهم ، وعزل من عزلتم ، وتقديم من قدمتم فاذا قالوا لك ما في هذا من بأس فابعث الينا فنحن نكفيك الجواب ، فحمد لهم عبد الوهاب قولهم وشكر لهم فعلهم ، ثم قال : انصرفوا على بركة الله ، فلما كان الغد ، غدا القوم على عبد الوهاب فلما دخلوا عليه واخذوا مجالسهم ، استخبروه على ما عقده معه ، فقال لهم : الامر اليكم غير انه بقي من اخواننا من لا غنى بنا وبكم عنه في عزل من تعزلون وتقدم من تقدمون ، ويقبح بنا وبكم ان يستأثر بهذا الامر دونهم لأن في ذلك فسادا لنياتهم وتغييرا لقلوبهم ، فقالوا : صدقت وبررت احضرم فانهم سيجمعون على ما عقدناه ، فأرسل اليهم ، فلما دخلوا واخذوا مجالسهم ، اقبل عبد الوهاب على القوم فقال : اخبروا اخوانكم بما جئتم به وما سألتوه ، فاخبروهم بما كان من رأيهم ورأي امامهم ، فقالوا جزاكم الله عن الاسلام وعن المسلمين خيرا ولكن بقي شيء أتم تعلمون انه لا يجب عزل قاض ولا صاحب بيت مال الا بجرحة تظهر عليه ، ولا

يجب عزل القضاة ببغى البغاة وسعى السعاة فأفحم القوم ولم يكن عندهم جواب ، الا ان قالوا ما هكذا كان عقدنا مع الامام بالامس ، ما هذا الا رأي حدث او امر أبرم ، ثم خرجوا حتى اتوا الكدية ⁽⁴⁵⁾ المعروفة بكدية النكار وخرج اليهم من هو مثل حالهم وحلفوا الا يدخلوا العرب ⁽⁴⁶⁾ او يعزل ما سألوا عزله ويحاكموا عبد الوهاب ومن معه ، فسموا من ذلك اليوم النكار ، وسمي الموضع بكدية النكار ⁽⁴⁷⁾ ، ولما علم عبد الوهاب بمقامهم وحاجتهم وانهم غير مقلعين عما ذكروه او يحاكمونه ، جمع وجوه رجاله ورؤساء مقالته فاستشارهم فأجمع رأيهم على ان يبرزوا اليهم بعد الاعذار والانذار اليهم ، فأعذروا اليهم فلم يجيبوهم الى شيء مما عرضوه عليهم ، وخوفوهم سوء العقوبة ، فلما رأى ذلك عبد الوهاب ومن معه برز اليهم ، فما كان الا كلمح بالبصر الا وجميعهم صرعوا ، الا من شد وولى ، ولم يتبعوا موليا ولا أجهزوا لهم على جريح ، ثم انصرف عبد الوهاب نافلا بمن معه وولت القبائل الداعية الى مواضعها ، واستملك الامر لعبد الوهاب وبقيت حزازات النفوس في قلوب عشائره من قتل ، ثم اشتد امر عبد الوهاب وقوي عليه وانتقل من حال الامامة الى حال الملك .

(45) الكدية هي المكان المرتفع عن الأرض وهي أيضا صلابة تكون في الأرض ، ولعل المقصود بها ههنا المكان المرتفع في مدينة تاهرت . أنظر ابن منظور : لسان ، ج 3 ص 232 .
(46) هكذا وردت في الأصل ولعلها محرفة من العرض أي الناحية أو لعلها الحرب وتكون « وحلفوا الا يدخلوا الحرب أو يعزل ما سألوا عزله » .

(47) لا نجد هذه الرواية في المصادر الإباضية . ولقد ذكرنا أن تسمية النكار تختلف عند الإباضية عما ذكره ابن الصغير . والرواية الإباضية في رأينا أرجح ، أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 58 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 48 وما بعدها . الشماخي : سير ، ص 146 وما بعدها .

الافتراق الثاني

اخبرني بعض الاباضية ان جمع الناس من هوارة وغيرها من القبائل ، كانوا بازاء مدينة تاهرت ، وكان لهوارة رؤساء مقدمون يقال لهم الاوس ويعرفون بعد بيني مسالة ، قد ذكر لي بعض الاباضية انه كانت ابنة جميلة لبعض رؤساء البربر اما لواتة او غيرهم ، فخطب مقدم الاوس على نفسه او على ابنه فاجابوه الى ذلك . وان بعض من كان يناوي بيني اوس من هوارة ، سعى الى عبد الوهاب فقال له ان فلانا قد خطب على نفسه او على ابنه ابنة فلان ، وقد علمت مكانه من قومه ومقامه عند الخاص والعام من الناس ، وإني لا آمن ان يزوجه ابنته . فاذا زوجه اياها وقعت المصاهرة . واذا وقعت المصاهرة صارت نسبة واذا انضمت قبيلة الى قبيلة نأواك في البلد . ولكن اخطب الى هذا الرجل ابنته اما على نفسك او على ابنك او على من سوف يؤثرك عليه . لتطانك ، فأرسل عبد الوهاب الى الرجل فأحضره فأجلسه . وخطب اليه ابنته فزوجه اياها ، فاتصل ذلك بالاوس فقال عمل علي في جارية خطبتها ورضي الي بتزويجها فانتزعها مني بسلطانه ، لا سألت بأرض هو بها* ، وغضبت عشيرته لغضبه . فارتحل نحو المغرب حتى نزل

* هكذا وردت وهي ركيكة .

وادي هواره وبينه وبين المدينة نحو من عشرة اميال او
 اكثر . فعمرو النهر من اعلاه الى موضع اذاك قبائل من
 منهم اسم هواره . واحب انه كان تقدم لهم عشائر من
 ... نهرهم بهذا الموضع وتآلف اليهم من غنا نحوهم وهوى
 ... ثم لم تزل السعاة تنشي بين الفريقين حتى اوقدوا نار
 ... فحدثني بعض الشراة عن تقدم من ابائه ان اول
 ... خرجت لهواره اصاب ولدا للبعال بدشرات⁽⁴⁸⁾ بنهر
 ... له نهر ابي سعيد الله فقتلوه . فلم يجزوا له راسا ولا
 ... له ثوبا ولا اخذوا له فرسا ولا سرجا ولا لحاما .
 ... وشارت المسيحية الى المدينة فابتذر الناس فاصابوا
 ... الامام قتيلا . وصابوا فرسه وقتلوا عليه سرجه ولجامه
 ... وسوا ثيابه بخالها . فاغتوا ذلك اذ لم ياخذوا له سلبا .
 ... من بعضهم لبعض افتقدوه فافتقدوه فاصابوا خاتما قد زال
 ... من يده فكبر القوم وقالوا قد استحلوا الاموال وحل قتالهم .
 ... حوا قتيبتهم وصلوا عليه وواروه ثم اخذوا في التهيء
 ... الحرب وخرجوا الى عدوهم . فجمعوا الى عبيد الوهاب امم
 ... كثيرة وخلق عظيم . واتصل خبر عبيد الوهاب بهواره ومن
 ... الف من الاباضية انه عد في عسكره الف فارس ابنق . قالوا
 ... وخرج عبيد الوهاب رضي الله عنه بعساكره من المدينة في
 ... جوع لا يعلم عددها الا الله . قال واتصل خبر خروج عبيد
 ... الوهاب ببني اوس فجمعت جموعها وعبت كتابها على نهر

خروج
 عبيد الوهاب
 يقتل
 بني اوس

(48) بدشرات : لا يذكر ابن منظور هذه الكلمة وكذلك ابن دريد في جوهرة اللغة والزيدي
 في تاج العروس وتعني ضيعة باللهجة العامية في المغرب .
 * لم نفهم معنى «ولدا للبعال» والمرجع يقصد به آدميا .

يقال له نهر اسلان⁽⁴⁹⁾ ، قالوا وكان عبد الوهاب اصابته ريح
 فامر براحلته فرحلت وجعل عليها محملا وجعل عديله رجلا
 من نفوسة وقائد راحلته رجلا من نفوسة ، قال وكان القائد
 ربما عجل . ويقول الحمال رويدا مرددا⁽⁵⁰⁾ فيقال له ويحك
 انما قيل رويدا ، فيقول هو ذاك فلم يزل يسير حتى تراءت
 العسكران قال فعبا عبد الوهاب عسكره ، ورتب قواده
 وعبا بنو اوس هواره على مراتبها وغيرها ممن اطاعهم ، قال
 ثم جالت الخيل فكان قتال شديد له غبار سد ما بين
 الخافقين ، قال وعبد الوهاب ينظر يمينا وشمالا او قلبا فاذا
 شجاعة افلح
 صرف نظره ذات اليمين راي فارسا فيقول من الفارس هذا
 قد أجفل⁽⁵¹⁾ الناس ؟ فيقال له ابنك افلح ، قال واذا صرف
 بصره ذات اليسار رأى مثل ذلك فيقول من الفارس ؟
 فيقال له ابنك افلح ، قالوا واذا صرف بصره في القلب رأى
 مثل ذلك فيقول من الفارس ؟ فيقال له ابنك افلح ، قال
 لقد استحق افلح الامامة . فكان اول يوم عقدت له
 الامامة . قال فلم يزل الناس يقتتلون لا يولي بعضهم لبعض
 الذبر الى ان سال الوادي ذلك اليوم دما فيما قيل .

فلما رأى عبد الوهاب الفريقين ، كان ينادي بأعلى
 صوته يا دينار رم الخطام وتقدم قدما ، فكلما تقدم دينار
 قدما فزع النفوسي زميل عبيد الوهاب ، فخف جانبه من

(49) نهر اسلان ربما هو النهر الذي يذكره البكري في شرق مدينة اسلم التي تبعد عن
 تاهرت غربا بأربع مراحل . أنظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . ص 90.89.79 .
 (50) في الأصل رويدا مردد وهو تحريف ظاهر
 (51) وردت في الأصل ... جفل ...

ولاية أفلح بن عبد الوهاب⁽⁵⁵⁾

X فله وفي فُلج أخذ بالعزم واخزم . ونشأ له من البنين
 م لم يكن تغيره من قبله . وصار له نصيب واتته نفوسه
 أجبل يسألونه أن يقدم عليهم من رآه . ولم يكن الشراة
 تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته . ولا في
 أعشاره . وكان أول ما امتحنه الشراة ان قاضيا من قضاة
 أبيه مات في أيامه فاجتمعت اليه وسألوه ان يولي القضاء . من
 يستحق ذلك ، فقال لهم أجمعوا جمعكم وقدموا خيركم ، ثم
 اعلموني به أجبره لكم واعضده على ما يكون فيه الصلاح
 لكم ، فقبلوا امرهم فلم يرتضوا احدا منهم ، واجمع رأيهم على
بحكم الهواري الساكن بجبل اوراس ، فأتوا الى أفلح بن عبد
 الوهاب فقالوا قد تدافعنا هذا فيما بيننا فلم نرتض احدا منا
 وقد ارتضينا جميعا بحكم الهواري الساكن بجبل اوراس
 لخاصتنا وعامتنا وديننا ودياننا ، فقال أفلح وبحكم دعوتهم الى
 رجل كما وصفتم في ورعه ودينه ولكن هو رجل نشأ في
 بادية ولا يعرف لذى القدر قدره ولا لذى الشرف شرفه ،

بمحكم الموارى
وتولى القضاء
وعدله فيه

(55) أفلح بن عبد الوهاب (258-208 هـ) ثالث الأئمة الرستميين . أنظر ترجمته في المصادر الإباضية أبو زكرياء : سير ، ص 85 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 72 وما بعدها الشاخي : سير ، ص 192 وما بعدها .

[illegible]

എന്നിവിടെയും.

[illegible]

امامكم فاعلموه بما اعلمتم به وشاوروه في أموركم ، فقالوا قد فعلنا فقال على بركة الله ، فأنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء فاشترى له خادما صفراء⁽⁵⁶⁾ واجروا عليه من بيت المال قوته وسار فيهم السيرة التي املوها منه ورجوها عنده⁽⁵⁷⁾ . فبينما هو على ذلك من امره ، اذا تنازع ابو العباس أخو أفلح المشير له والمرغب فيه وصهر الامام أفلح في أرض ، فارتفعوا⁽⁵⁸⁾ الى أفلح أبو العباس أخوه والآخر صهره فقال لهما أفلح كلا كما يعز علي ولكن ارتفعوا الى محكم ، وكان ابو العباس يحب ذلك لتقدمه للحكم وايثاره اياه وكان الآخر يكره ذلك ويجب ان لو كان أمرها عند أفلح ، فاغتم ابو العباس كلام أفلح وبادر الى بغلة له شهباء هملاجة⁽⁵⁹⁾ فركبها وكان صاحبه على رمكة⁽⁶⁰⁾ بطيئة المشي فأقْبى أبو العباس محكما فوجده خاليا في سقيفة داره ولم يَرَمَعْ ابي العباس احدا ، فأجلسه محكم الى جنبه واقبل عليه يحدّثه ، وخصمه تخلف على دابته فبينما هما كذلك اذ اقبل خصمه حتى نزل على باب دار محكم فلما رأى ابو العباس

(56) لا ندري ما المقصود بالخادم الصفراء مع العلم أنها وردت في الأصل هكذا : خادما صفرا ، ولعل المراد به الخادم الشديد السواد لأن العرب يستعملون الصفرة أيضا للسواد . أنظر ابن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 448 .
(57) لا نجد ذكرا لهذه الرواية في المصادر الإباضية اللهم إلا ما ذكره الشماخي نقلا عن ابن الصغير وهو شيء قليل جدا .

(58) وردت في الأصل « فارفعا » ولعلها تحريف .

(59) هملاجة : كلمة فارسية معربة وتعني حسن سير الدابة في سرعة وبخبرة ويقال دابة هملاج ، ابن منظور : لسان ، ج 3 ، ص 831 .

(60) رمكة : هي الأنثى من البراذين التي تتخذ للنسل . ابن منظور : لسان ، م 1 ،

وإن كان ليس احد منكم يجب ان يظلم ولا يظلم ولكن تحبون ان يخبرني فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتهان لانفسكم قالوا فانا لا نرضى لقضائنا احدا غيره ، فقال الذي حدثني اخبرني ان أشد الناس بولاية محكم على أفلح أخوه أبو العباس ، فقال أفلح اما اذا أبيتم غيره ، بعد نصيحتي فيكم ، فابعثوا رسلكم اليه على بركة الله ، فخرجت الرسل بكتاب من أفلح وكتاب من الشراة في داخل كل كتاب منها بعد اثبات بسم الله العظيم ، « اما بعد فقد نزل بالمسلمين امر لا غنى بهم عن حضورك وهم منتظرون لقدمك ولا يسمعك التخلف فيما بينك وبين الله عن الحقوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح المسلمين » . فلما ورد كتاب القوم على محكم ورسلمهم ، أتى الى دابة له وركبها وأخذ كسائه وعصاه ثم توجه نحو القوم حتى أتى ابلد وقصد المسجد الجامع ونزله ، فابتدر اليه اصحابه فاحاطوا به ، وقالوا بن فلان بن فلان القاضي توفي وقد اجمع رأي المسلمين ورأي الامام عليك ، واعلم انك مهما تخلفت عما دعوتك اليه كنت المسؤول عن كل دم يراق بغير حاله ، وكل خرج يوطأ بغير وجهه ، فاتق الله ولا تخالف الامام والمسلمين عما دعوتك اليه ، فانك إن خالفنا أجبرناك وإن أطعنا شكرناك ، فقال لهم إن الحق مر ، أمر من شرب الدواء ولا يشرب الدواء الا كرها ، وانتم مرفهون ابناء نعم . وغيري أحب اليكم مني وقد نصحتكم فاقبلوا نصيحتي ، وذكروا كلاما يطول ثم قال فاذا أبيتم الا هذا فارجعوا الى

أفلح قد عمر في امارته ما لم يعمر احد ممن كان قبله ، فأقام
خمس عاما اميرا حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في
ملكه وابتنى القصور واتخذ بابا من حديد وبنى الجفان
واطعم فيها ايام الجفان ⁽⁶³⁾ وقد تقدم ذكرها قبل هذا ،
وعمرت معه الدنيا وكثرت الاموال والمستغلات واتته الرفاق
والوفود من كل الامصار والافاق بأنواع التجارات ،
وتنافس الناس في البنيان حتى ابنتى الناس القصور والضياع
خارج المدينة واجروا الانهر ⁽⁶⁴⁾ ، فأبنتى ابان وحمويه
القصرين المعروفين لهما باملاق ، وابتنى عبد الواحد قصره
الذي يعرف به اليوم وغيره ، مما يطول ذكره ، ولقد حدثني
بعض من اثق به ان ابان وحمويه خرجا يوما الى قصورهما
متزيهين ومعهما جماعة اخوانهما ، فذكر بعضهم انه قال سمنا
اشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما فاعلموا سكان
القصرين بقدمومهما قال فتشوف من كان بالقصرين اليهما
فوالله ما رأيت شرافة من القصرين الا عليها ثوب أحمر
وأصفر على الجدار كالبدور ، وانتشرت القبائل وعمرت العمار

(63) نعت الخوارج « أيام الجفاف » مع أنه لا نستبعد كلمة أيام الجفان لأن الجفاف في الغالب
يكون التعبير عنه بسنين الجفاف وليس الأيام ، كما أن قول ابن الصغير « بني الجفان » بدل صنع
الجفان يعبر عن نظام لإطعام في أيام معلومات والدليل على ذلك قوله (ابن الصغير) « وقد تقدم
ذكرها قبل هذا » أي تقدم ذكر أيام الجفان ، هذا مع العلم أنه لم يتقدم أي ذكر لأيام الجفان أو
الجفاف وربما توهم ابن الصغير واعتقد أنه قد ذكرها ، وبذلك فقدنا معلومات مفيدة عن أيام
الجفان . والجدير بالذكر أن ابن الصغير أشار إشارة عابرة إلى « أوان الطعام » لما تكلم عن جبة
الضرائب وعمل الزكاة الذين يخرجون في أوان الطعام . إرجع إلى صفحة 35 .

(64) سبق أن ذكرنا أن كلمة أنهر خطأ والصحيح أن يقال أنهار ونهر ونهر . ابن منظور :

خصمه قد نزل نادى باسم جارية محكم فاستسقاها ماء ليرى
خصمه دلالة على القاضي ليودعه بذلك ، فلما صار القدر
الى الجارية قال الخصم في نفسه الى من احاكم ؟ خصمي
جالس الى جنب القاضي ويستسقي الماء من داره وانا ملقى
على باب الدار لا يلتفت الي ولا ينظر نحوي ، قال ثم
خانت منه التفاتة فاذا بالرجل جالس ، فقال ما بالك يا
هذا وما قصدك ؟ فقال له جئت خصما لابي العباس فوجدته
جالسا الى جانبك فجلست موضعي هذا ، قال فغضب محكم
على ابي العباس فقال يا ابا العباس تأتي مع خصمك فتجلس
الى جنبي دونه وتستسقي الماء من داري على يد جاريقي ، يا
غلام خذ بيد ابي العباس واقعه مقعد خصمه ولا يبرح ،
وخذ بيد خصمه واقعه الي ، ومر الجارية فلتسقه ماء ،
ففعل الغلام ما أمره به ، فخرج ابي العباس مغضيا حتى
دخل على اخيه أفلح فلما رآه ، قال له مالك وما عراك ؟
قال نزل بي من هذا الهواري الشرس ⁽⁶¹⁾ الجافي ما لم ينزل
بأحد ، فقال وما ذلك ؟ فدل عليه القصة من أولها الى
آخرها ، فلما فرغ من كلامه ، قال له يا ابا العباس قد
كنت اعلمتك بهذا من قبل ، والصواب ما فعل والحق اولي
ان يؤثر ، ولو فعل غير هذا لكان مدهانا ، فاتصل ذلك

من كلامه بوجوه الاباضية فأعجبهم وسروا به ⁽⁶²⁾ ، وكان - عند أفلح -
وازهار دولته

(61) وردت في الأصل هكذا « الشر الجافي » وهي تحريف .
(62) وردت في الأصل هكذا « وأسروا به » وهي خطأ ظاهر . كذلك لا نجد مثل هذه القصة
في المصادر الإباضية ومن هنا قية كتاب ابن الصغير .

فتزبل ملكه ، فلما رأى ذلك أرش⁽⁶⁹⁾ ما بين كل قبيلة ومجاورها فارش بين لواته وزناته وما بين لواته ومطاطة وما بين الجند والعجم حتى تنافرت النفوس ووقعت الحروب ، وصارت كل قبيلة ملاطفة لأفلح خوفا من ان يعين صاحبها عليها . فيا قالوا ، والله اعلم فيمن رأى ذلك⁽⁷⁰⁾ . استلقى على ظهره منا ومد يديه ورجليه مطمئنا ، وعلم انه قد كفى امرهم وبقيت تلك الضغائن في الصدور الى ان اخترمتها المنية⁽⁷¹⁾ ، وكان ابنه ابو اليقظان حسن الحال عند الجميع منسوبا الى الورع فسأل اياه ورغب اليه في ان يأذن له في الحج فيخرج مع قافلة الناس حتى ورد مكة ، فلما طاف وسعى كشفته رسل بني العباس ، اذ قدموا معه . من عندهم وقيل لهم ان ابن مقدم الشراة قد قدم من المغرب . من عند ابيه يرتاد البلاد ويرسل رسله في كل الافاق الى من كان على رأيهم ومذهبهم ليأخذوا الى انفسهم

سفر أبي
اليقظان الى
المشرق وحبه
وما كان من
امره هناك

(69) أرش حمل بعضهم على بعض في حرش .

(70) يشير هنا ابن الصغير إلى أمر خطير وهو إتهام الإمام أفلح بسياسة فرقة تد ، وواضح من كلماته الأخيرة أنه يستبعد مثل هذه السياسة عن الإمام أفلح ولا يريد أن يتحمل المسؤولية لذلك يقول « ... فيما قالوا ، والله اعلم فيمن رأى ذلك » وانظر وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرسمية ، مجلة الأصالة ، عدد 45 ، ص 44 .

(71) سبق وأن ذكر ابن الصغير في صفحة 53 أن الإمام أفلح شمع في ملكه خمسين عاما وبالتالي تكون وفاته سنة 258 هـ أي بعد 50 سنة من وفاة أبيه عبد الوهاب أما أبو زكرياء والوسياتي وغيرهما فيذكران أن إمامة أفلح كانت ستين سنة في حين أن الدرجيني يجعلها تسعة واربعين سنة . أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 96 ، الوسياتي : مخطوط ، ورقة 39 ، اندرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 320 أما في الجزء الأول من نفس كتاب الدرجيني فيكرر ما قاله قبله كل من أبي زكرياء والوسياتي أنظر صفحة 83 من طبقات الدرجيني . وأنظر رأيا آخر : جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية ، ص 66 .

وكثرت الاموال بأيديهم ، وكانت العجم قد ابنتت القصور ونقوسة قد ابنتت العدو والجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم ، وأمنت الساحات وكثرت الاموال حتى اطغت⁽⁶⁵⁾ اهل الحواجر⁽⁶⁶⁾ والبوادي ، لقد حدثني غير واحد انه كان للعجم مقدم يقال له ابن وردة قد ابنتى سوقا يعرف به فكان صاحب شرطة افلح اذا تخلل بالمدينة لافتقادها لم يجسر⁽⁶⁷⁾ ان يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبة ، قال وكان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة⁽⁶⁸⁾ وكانت نقوسة تلى عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق ، وكانت الاجناد بطانة السلطان واولاده وحشمه ، وكان لأفلح اولاد قد بلغوا من السن والتجارب والممارسة ما يستحق به كل واحد منهم الامامة ، الا ان الناس يترشحون من جمعهم الا اثنين احدهما يكنى بابي بكر والآخر يكنى بابي اليقظان ، وبهاتين من الكثير يعرفان . وكانت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت لما اكتسبت الاموال واتخذت العبيد والخيول قد نالها من الكبر ما نال اهل المدينة حتى خاف افلح ان تجتمع الايدي عليه

(65) وردت في الأصل « أظفت » وهي تصحيف .

(66) أهل الحواجر ربما هم أهل الحجر وهم سكان البادية في مواضع الأحجار والرمال كما يقول ابن منظور في لسان العرب ، م 1 ، ص 571 أو لعلمها أهل الحواضر .

(67) وردت في الأصل « لم يجسر » وهي لا تنسجم مع سياق الكلام .

(68) مجانة : لم نفهم وضعها في سياق الجملة لأنها مرتبكة ولعل المقصود بها مدينة مجانة في المغرب الأدنى أنظر البكري : المغرب ، ص 145.63 ، الحسوي : ياقوت : معجم البلدان ج 5 ، ص 56 .

حولنا ، واذا بالخليفة قد قتل ، وقدم صاحبي الذي في الحبس معي مكانه ، قال فما شعرنا ان دخلت له الصقالبة (77) والاجناد علينا فاخطف من بين أيدينا ، ولم يسم من حدثنا من كان الخليفة المقتول ولا من كان الخليفة القائم ، قال فلما استقل الملك بصاحبي وقعدت قواعده أمر بي فاخرجت وصيرني الى الوزير فامر به بحفظي وكرامتي والنظر في أمري الى ان اجتمع معه ، مبرورا مكرما ، قال فبينما انا ذات يوم عنده انصرف من قصر الخليفة فوقف في صحن داري على فرس وخرجت اليه ووقفت معه ، فبينما نحن كذلك اذ اقبل عشرة اناس فنزلوا عن دوابهم وبدروا نحوه يقبلون يده ورجله ، فقال لهم اتدرون في ماذا أرسلت فيه اليكم ؟ فقال له اصلح الله الوزير ليس لنا في ذلك علم ، فقال اذا كان الغداة فأحضروني عشرة آلاف فارس ، فقالوا نعم اصلح الله الوزير ، قال فعجبت من قوله ومن قولهم ، وقلت يهزؤ به أو يهزؤون به ، أو أراد ان يظهر لي شيئا اتحدث به في المغرب لا اصل له ، قال فنظر الي وإلى انكساري ، فشعري ، فقال لي مالك يا مغربي أراك تعاطمك ما سمعت ؟ فقلت اصلح الله الوزير كيف لا يتعاطمني ، والله اصلحك لو كان ما سألتهم دراهم في اكمامهم لما استطاعوا إحضارها اليك بالغداة ، وكيف عشرة آلاف

(77) الصقالبة ويقصد بهم الأتراك الذين كانوا في هذه الفترة قد سيطروا سيطرة تامة تقريبا على الخلفاء العباسيين يولون من يشاؤون ويمزلون أو يقتلون من يشاؤون ، أنظر فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ط 2 ، بيروت 1979 .

الى ان يأتيه والده من المغرب ، فحمل ابو اليقظان من مكة وحمل معه رجل من نفوسه كان يخدم له حتى ورد بها مدينة السلام ، والعامل اذ ذاك المتوكل (72) او غيره ممن كان في عصره ، فأمر بحبسه . قال الذي حدثني ، عن ابي اليقظان انه قال وافق حبيبي حبس أخ الخليفة (73) ، كان قد تقم عليه ما تقم (74) قال فأمر بنا جميعا فحبسنا في موضع واحد ، قال وكان يجري علي في كل يوم مائة وعشرين درهما كما يجري على أخيه ، قال فما زالت جارية علي الى ان خرجت ، قال فلما خرجت واذن لي بالانصراف ، قيل لي أنظر الى من توصي بجرايتك (75) يقبضها لئلا يذهب رسمك من عندنا ويعفو ذكرك من دفاترنا ، قال وكان السبب الذي اذن الله بإطلاقي ان أخ الخليفة كان مؤالفا لي في الحبس ، شديد المحبة لي ، فلا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا الا احضرتني ، قال وكنت له كذلك ، قال فبينما نحن كذلك (76) وعلى ذلك اذ سمعنا الدنيا قد انقلبت وحركت

(72) المتوكل هو الخليفة العباسي العاشر تولى الخلافة بعد أخيه الواثق سنة 232 هـ وقتل سنة 247 هـ من قبل الجنود الأتراك . أنظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 373 . فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج 3 ، ص 51 وما بعدها . ويستبعد أن يكون المتوكل هو الخليفة العامل اذ ذاك لأن المصادر تذكر أن المتوكل هو الذي سجن في عهد أخيه الواثق . (73) ربما يكون قد سجن مع الخليفة المتوكل الذي كان قد حبس في عهد أخيه الواثق (227 هـ - 232 هـ) أو سجن مع الخليفة المعتمد (256 هـ - 279 هـ) في عهد الخليفة المهدي (256-255 هـ) . ابن عم المعتمد . أنظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 392 . الطبري : تاريخ ، ج 9 ، ص 155 . ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ، ص 278 .

(74) وردت في الأصل هكذا « فاقم » والصواب ما صححناه .

(75) جارية : وهي الجاري من الوظائف . والمقصود بها هنا الدراهم التي كان قد أجراها عليه الخلفاء العباسيون .

(76) وردت في الأصل هكذا « وعلم ذلك » وهو تحريف واضح .

وكننت اقبلت على النفوسي المرفوع معى وقلت له اقم لقبض كل يوم مائة وعشرين درهما فذلك خير لك من المغرب ، فأبى ، فقلت له فاذا ابيت فالى من ترى ان نصرف فقال الى فلان بن فلان الخياط فانى كنت اجلس عنده واستريح فيه واشاوره على أمرك ، فلما ذكرت اسم الخياط للخليفة قال لي بم استحق ذلك منك ؟ قال ، فأعلمته بما قال النفوسي ، قال فأمر به فأجريت عليه ، قال ، وكان النفوسي بعد ذلك بتاهرت اذا كربه امر او نزل به ضيق ، يقول لأبي اليقظان لم اقبل منك ، ولو قبلت لكان العشرون والمائة درهم أعود علي بما أنا فيه ، قال ثم امر الخليفة الوزير بالنظر في أمري وأمر جهازي ، وأمر لي بسرداق⁽⁷⁸⁾ فضرب لي ، ثم أمر لي بنفقة وكسوة ، وكتب لي كتباً الى عماله بالأمصار بالحفظ والرعاية والبر والإكرام ، فقامت حتى قضيت حوائجي ، ثم خرجت⁽⁷⁹⁾ . وأما أفلح بن عبد الوهاب لما فقد ولده أبا اليقظان وعلم انه رفع الى بغداد اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهموما محزوناً الى ان وافته منيته وابنه محبوس ببغداد ، واجتمعت الإباضية فلم يصيبوا في أولاد أفلح اذ فقدوا أبا اليقظان أرجح عندهم من ولده أبي بكر .

(78) سرداق وفي مكان آخر يذكر سرداق والكلمة سرداق لا تذكرها المعاجم العربية . أما سرداق والجمع سرداقات فهو ما أحاط بالبناء . أنظر ابن منظور . لسان . م 2 . ص 131 .
(79) هذه الرواية اللطيفة عن سجن أبي اليقظان ببغداد وإكرام الخلفاء العباسيين له لا نجد لها في المصادر الإباضية إلا إشارة عابرة . وهي تؤكد حبس العباسيين لأبي اليقظان وإطلاق سراحه بعد أن أحسنوا إليه . أنظر أبو زكرياء : سير . ص 96 . الدرجيني : طبقات . ج 1 . ص 83 . وأرجع إلى المقال الذي كتبه الأستاذ عبد الوهاب بن منصور : جريدة البصائر ، عدد 179-178 وعنوانه : السفارات الملكية والعلاقات بين المشرق والمغرب . الجزائر . 1371 هـ / 1952 . ص 6 .

فارس ! فقال لي يا مغربي ترى هؤلاء العشرة قلت نعم قال تحت كل واحد منهم عشرة ، كم هذا معك ؟ قلت مائة قال وتحت يد كل واحد من المائة عشرة كم هذا معك ؟ قلت ألف ، قال وتحت كل واحد من الألف عشرة كم هذا معك ؟ قلت عشرة آلاف ، قال فانما تخرج هذه العشرة فيدعو كل واحد منهم من تحت يده فيأمره باحضار عشرة ، ثم يخرج كل واحد منهم من المأمورين فيأمر من تحت يده فيجتمع ذلك كله في اقل من لحظة عين ، ولولا سحت هذه الارزاق يا مغربي واخذها لما صببنا هذه الاموال الا في الدجلة والفرات ، فأعجبني قوله ، وقلت يمكن ما قال ، فبينما أنا كذلك عنده اذ امره الخليفة باحضاري ، قال فلما مثلت بين يديه ، أمرني بالجلوس فجلست ، قال ، فذكر ما كنا عليه بما يرى مني اجتهداً في صلاة وغيرها ، فقال لي إني أحب ان أولئك من المشرق أي بلد اردتها ، فقلت الخيار لي في المشرق دون المغرب أو في المشرق والمغرب ؟ فقال لي ، الخيار إليك في المشرق والمغرب الا أنى اؤثر لك المشرق لكثرة خيره ، وأرغب لك عن المغرب لكثرة شره ، فقلت له قد رددت الخيار إلي واذا رددت الخيار إلي فانما أختار ما شئت ، قال ذلك إليك ، فقلت اجمع بيني وبين عيني والدي ، فقال ما تريد بالمغرب من خير ولكن اذا أردت ذلك فالامر إليك ، ثم عطف علي فقال لي جرايتك في الحبس انظر الى من توصى بها لئلا يعفو اسمك من عندنا ، فقلت الى فلان بن فلان الخياط ، رجل بقرب الحبس . قال

ولاية ابي بكر بن افلح (80) ومقتل ابن عرفة (81)

اخبرني جماعة من الاباضية وغيرهم عن ولاية ابي بكر ومقتل ابن عرفة وقدم ابي اليقظان من العراق ، قالوا : فلما مات افلح بن عبد الوهاب قدم الناس ابا بكر ابنه ، واخبرني غير واحد من الاباضية ، قال ، كان عبد العزيز بن الاوز (82) ينادي بأعلى صوته « الله سائلكم معاشر نفوسة اذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تعملوا الامر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتقى وارضى » ، فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمقاتلته ، فلما ولي ابو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه ، ولكن كان سمحا جوادا لين العريكة يسمح اهل

(80) أبو بكر بن أفلح (258-261 هـ) رابع الأئمة الرستميّين أهلته المصادر الإباضية وتوقفت عن ذكر إمامته ، والسبب في ذلك فتنة ابن عرفة التي سوف يذكرها ابن الصغير منصلة ، ولقد قيل إن الإمام أبا بكر هو الذي قتل ابن عرفة كما قيل بأنه لم يكن حازماً وليس فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله . ولقد ترك الشاخي بياضا في كتابه لما وصل إلى عهد أبي بكر . أنظر السير ، ص 220 . جودت عبد الكريم : العلاقات ، ص 66 .

(81) ابن عرفة محمد بن المقدّمين في بلاط الرستميّين في عهد الإمامين أفلح وأبي بكر . صهر إلى الإمام أبي بكر وصهره الإمام ، لذلك بلغ من النفوذ مبلغاً عظيماً في عهده .

(82) عبد العزيز بن الأوز من علماء الإباضية الذين هم فقهاء بازرع ورحلة نحو المشرق ، ويبدو أنه صريح لا يعرف المجاملة ، وسوف يذكره ابن الصغير مرة ثانية ويروي عنه قصة تدل على قوة ملاحظته . ويبدو أن سفاهة لسانه وخفة عقله ، كما يصفه بذلك ابن الصغير ، هما السبب في إغراض الإباضية عنه وإهمال ذكره في طبقات وسير علمائهم .

طاف ساني بكر ، الا ان الكلمة مجتمعة والدعوة واحدة
والناس مقيون ، على احوالهم ، الا أن الضغائن بين القبائل
واهل الحواضر في الصدور على ما كانت في ايام ابيه ، وبين
القبائل حروب تهيج ثم تسكن ، والبلد زائدة في العمارة ، الا
ان هوارة قد جنبت ورجعت الى مواضعها من الوادي ، الا
انه قد وقع بينها ما وقع بين الناس من العداوة حتى تميزت
ولما ينت وصارت بنو أوس مع من ولاهم ، وتزهقت مع
رؤسائهم . فكان الناس على امامهم عليه الى ان قدم أبو
اليعقوب من العراق فوجد اخاه ابا بكر اميراً والعجم على
الاهم والنفوسة على مراتبهم وسائر الناس على ما هم عليه ،
فلم يغير شيئاً ولم ينكره ولا ادعى اماره ولا نازع فيها
الامر ، بل يظهر القيام له والخدمة بين يديه ، وكان ابو
بكر يحب اللذات ويميل الى الشهوات فصرف النظر في
الدينه واحوازها الى أخيه أبي اليقطين مع ما اظهر له من
الكفاية مع أدب المشرق والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني
العباس وسيرهم ، وكان أبو اليقطين يركب الى اعلى مسجد
في المدينة فيجلس فيه ، فمن تكلم اليه من الناس بين العمال
والتضادة وصحاب الشرطة نظر في ذلك نظراً شافياً واجرى
الحق على من رضي وسخط عظم قدره او صغر ، ولم تأخذه
في الله نومة لئلا يفتنه الشراة ذلك وحده . أخوه

عودة أبي
اليقطين من
المشرق وسيره
وعده

(87) الشراة وهم علماء الإباضية الذين يقومون برقابة سير أحوال الإمام والإمامة بصفة
عامة . ويتدخلون لإحقاق الحق وإثبات العدل كلما اقتضت الضرورة ذلك ، وهو نظام خاص
بالدولة الرسنية . والكلمة مقتبسة من قوله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة
الله » سورة البقرة آية 207 وأنظر آية أخرى في سورة التوبة آية رقم 111 . والجدير بالذكر أن

المرفقات ويشايهم على رؤسائهم ويحب الآداب والأشعار
واخبار الماضين (83) . وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن
عرفة وكان وسياً جميلاً جواداً سخياً ، وكان قد وفد على
ملك السودان (84) بهدية من قبل افلح بن عبد الوهاب
فعجب ملك السودان ما رآه من هيئته وجماله وفروسيته اذا
ركب الخيل فجز يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر
بالعربية لأن لا يخرج للامساك انما هو فيما بين القاف
والكاف والجيم (85) الا ان معناها « أنت حسن الوجه حسن
الهيئة والافعال » ، وكان لابن عرفة هذا ، أخت او بنت
اجل منه فخطب اليه ابو بكر بن افلح ودخل بها ، قالوا
وكان محمد بن عرفة هذا قد تزوج بأخت ابي بكر ، قالوا
فكانت الامارة بالاسم لابي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة ،
وكان محمد بن عرفة اذا ركب من داره يريد ابا بكر مشى
بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره أمم من الأمم ،
وشرقت (86) بذلك الرستمية وغارت به وشرق بذلك كل من

(83) لاحظ جيداً هذه الصفات التي يتعلنى بها أبو بكر ، لتقارنها فيما بعد بغير أحداث
قصة ابن عرفة .

(84) لا نعرف بالتدقيق المملكة السودانية التي كانت تربطها بالدولة الرسنية علاقات
تجارية متواصلة ، إلا أن المؤرخين يذكرون في القرن الثاني والثالث الهجريين عدة ممالك في
السودان الغربي والأوسط وأهمها جميعاً مملكة غانة ومملكة كوكو . أنظر المسعودي : مروج الذهب ،
ج 2 ، ص 223-222 ، البقرة : تاريخ اليعقوبي ، ج 1 ، ص 143-142 . بحار ابراهيم : الديرة
الرستمية ، ص 223-219 .

(85) لماذا اهتم ابن الصغير بمخرج هذه الكلمة السودانية التي ليست تعبر بالعربية . فهل
يفهم من هنا ان ابن الصغير يعلم اللغة السودانية أو أن هذه متداولة في تبهرت على الأقل بين
العبيد وملوكهم من الأغنياء والتجار مع السودان . أنظر بحار ابراهيم : الدولة الرسنية ،
ص 243 هامش 5 .

(86) شرق : الشجا والغصّة ، ابن منظور : لسان ، م 2 ، ص 305 .

فعله . فاذا كان آخر النهار اتي باب اخيه ابي بكر فان
 وجده جالسا دخل عليه واعلمه بما حدث في يومه من خير
 وحكم . وان لقيه مشتغلا قال لمن علم انه يصل الى حرمة
 اقرأ على الامير السلام وقل له اصبحت مدينتك اليوم هادئة
 وامست هادئة ، واذا كان في الليل ركب وطاف في المدينة
 حتى اقصاها ويحكم في الامر الضروري ويأمرهم اذا حدث
 حادث ان يوافوا داره فاذا حكم جميع ذلك انصرف الى داره
 فاذا كان بالغداة غدا الى باب أخيه فان وجده جالسا اعلمه
 بما كان في المدينة من حدث ان كان حدث أو هدوء ان كان
 هدوء ، فلم يزل كذلك حتى جلب قلوب الناس
 واسترأت (88) اليه ومالت نحوه وفي كل ذلك محمد بن عرفة
 في دوي وصيت عال لا ينظر ابا اليقظان في حربه ولا في
 طائفته ولا في الناحية التي هو بها ولا ينظر هيبه له او
 إجلال او حذر منه ، وكان محمد بن عرفة اذا اتي باب ابي
 بكر لم يحجب (89) كان ابو بكر في مجلسه او في حرمة ،
 وكان ابو اليقظان وجميع اخوان ابي بكر واعمامه لا يدخلون
 على ابي بكر الا بالاستئذان اذا كان في مجلسه والا
 انصرفوا (90) ، وكان محمد بن عرفة على غير ذلك وكانوا لا

دالة محمد بن
 عرفة على ابي
 بكر

من بين الأنواع الأربعة للإمامة عند الإباضية إمامة الشراء، أنظر ابن جميع : مقدمة التوحيد ،
 ص 69 وما بعدها ، عوض خليفات : النظم ، ص 112-113 ، بحار ابراهيم : الدولة الرسنية ،
 ص 80-79 .
 (88) هكذا وردت في الأصل ولعل الصواب « واشترأت » .
 (89) وردت في الأصل « يحجب » والصواب ما أثبتناه في المتن .
 (90) في الحقيقة لا غرابة في هذا ، فابن عرفة إذا كان يدخل على أبي بكر في مجلسه أو في
 حرمة دون أن يجب فلائنه أخ زوجة الإمام أبي بكر وبالتالي فوي من ذوات محارمه ، أما إذا كان

القبلت قد انصرفت ، وبقي بابها خاليا ، فتحقق عنده
 ما قال القائل ، ثم ارسل الى من ذكر له من امر محمد بن
 عرفة ما ذكره ، فقال له قد رأيت ما وصفت فما الرأي ؟
 قال ان هممت به وأظهرت ذلك امتنع منك وغلب عليك
 الغلب ، عليك ملكك لأن مطيعته أكثر من مطيعتك ،
 اظهر لطف في أمره ، قال وكيف ألطف في أمره ذلك ؟
 انا وجه اللطف في ذلك ان تخرج كما تخرج ابدا متزها معه
 ومع غيره وتظهر له انك تريد الخلوة معه والراحة ، وتأمره
 ان لا يخضر معه احدا من عبيده ولا من خشمه وتفعل أنت
 ما في ذلك الا عبدا من عبيدك ممن تثق اليه في دينك
 ودينك ويكون مع ذلك كافيا متحملا لما حملته ، فاذا
 هممت ذلك ووعدته على الخروج قد علمته ان خروجكما
 الليل وانصرفكما فيه لئلا تخلط بكم العوام ، فاذا اتيت
 منزلك فأقم فيه نهارك كما تقيم ، فاذا غابت الشمس وقمتا
 صلاة المغرب أمرت غلامك فيه بما تريد ، فقال له ابو بكر
 كنتم عني هذا ولا تظهره ودعني أدبر أمري وأتأمل في رأي
 هل تصوع نفسي بذلك أم لا ، فاني لا أحسب نفسي تطوع
 في ذلك ولا سيما اخته تحتي واخوتي تحته ، (حتى أنا شككت
 في البنت او الاخت) (92) ومتى ما فعلت ذلك تنقصت حالي
 كنت كقاطع كف بكف لما خرني (93) . فقال له الامر اليك

(92) هذه الجملة اعتراضية يخبر فيها ابن الصغير عدم يقينه من أن ابن عرفة تزوج أخت أبي
 بكر أو بنته . كما احتار هل تزوج أبو بكر بنت ابن عرفة أم أخته .
 (93) لعل النصاب « لما ضربني » بدلا من خرني .

وانما علينا النصيحة ، وقد علم ابو بكر بعد فوات الامر أن
 الحسد والبغى أدام الى ما أدام لا النصيحة ، ثم لم يغالب
 نفسه وهي تغالبه حتى عزم على غدره ومحمد بن عرفة في
 ذلك كله اسلم الناس صدرا واكبرهم له حبا ، فأرسل له كما
 يرسل قبل ذلك وقال له قد اردت الخروج بالغداة الى
 جنان الامير واردت الخلوة فيه والقيام به الى آخر النهار مع
 اصراف الحشم عني والعبيد واحب ان تأتي بالغلس مفردا
 فنصطحب جميعا ، فقال ذلك الى الامير ، فلما كان قبيل
 الصبح ركب محمد بن عرفة من غير أن يعلم أحدا من
 حاشيته وعبيده حتى أتى بابها وعلم ابو بكر بمجيئه وخرج
 وقد عهد الى غلامه في الليل ما عهد وأمره بما أمر فسارا
 جميعا حتى اتيا موضع متزهما وهو موضع يعرف بجنان
 الامير فأقاما يومها ذلك ، فلما كان وقت العشاء وسقطت
 الشمس قال له تعال نصلي المغرب فننصرف ؟ فأسبغ كل
 واحد منهما وضوءه واستقبل القبلة فلما أحرم محمد بن عرفة
 أشار ابو بكر إلى غلامه أن امض الى ما أمرتك فضره
 بحربة كانت بيده بين كتفيه فخر ساقط ميتا ، فلما علم ذلك
 أبو بكر قال لغلامه زمله بشيابه واحمله على فرسه ، ففعل
 الغلام ما أمر به وركب أبو بكر فرسه ومشى بين يدي
 الغلام والغلام خلفه حتى أتى جبلا قد تقسم نصفين له هواء
 عظيم يعرف ذلك الموضع بالشفة الحمراء ، فقال له ألقه في
 الهواة فألقاه فيها وأمره أن يغيب فرسه ولا يظهره ،

وانصرفا حتى دخلا المدينة (94). وأبطأ محمد بن عرفة عن زوجته وأهله وداره فبعثوا رسولا يتجسس لهم الاخبار ويتعرف ان كان وصل ابو بكر الى داره ام لا ، فرجع الرسول فأخبرهم بوصول أبي بكر إلى داره ، ولم يصب لمحمد ابن عرفة خبرا ولا أثرا ، واتصل الخبر بحيرانه وإخوانه وأهل بطائنه فباتوا متوحشين خائفين وجلين ، فلما طلع الفجر وارتفع النهار ولم يصيبوا له خبرا ولا أثرا خرج الناس مقتفين أثره ومفتقدين خبره حتى أتوا الموضع الذي كان فيه مصرعه فما أصابوا (95) إلا دما قد بات الموضع فعلم أن الرجل أصيب ، فلم يزالوا يتبعون أثر الدم حتى وقفوا على أثر المهواة فأمرؤا بحبال فأوثقوا بها فربطوا بها من أدلوهم حتى نزلوا الموضع وأصابوا الرجل على حاله بشيابه فربطوه بتلك الأحبال ورفعوه إلى أعلى الموضع . ثم طلع القوم فأتوا النهر الذي قتلوه به وبعثوا إلى داره وأتوا منها بفرس له وكسوة طاهرة وسيفه ففعلوه في النهر ونظفوه وطيبوه ثم كسوه ثيابه وقلدوه سيفه وحملوه على فرسه وجعلوا خلفه رجلا يحسه . حتى أتوا به مدينة تاهرت فابتدر إليه العامة والخاصة والنساء والصبيان ولحق الناس من الجزع ما لم

(94) إن أبا بكر بن أفلح بالصفات التي سبق وأن ذكرها ابن الصغير نفسه . بعيد من أن يشذ مؤامرة خطيرة وخسيسة كهذه . لذلك فإن الراجح عندنا هو أن أبا بكر متهم بهذا القتل الذي نفذه غيره وحاول به أن يضرب وحدة الرستمين والإباضية ، ولقد حصل له ما أراد . وفي رأينا أن المناقشة والتحليل الذي قام به الشيخ علي يحيى معمر لهذه الحادثة والمؤامرة والتهمة والتنازع التي انتهت إليها منطقية معقولة . أنظر علي يحيى معمر : الإباضية بالجزائر ج 4 ، ص 45 وما بعدها . بحار إبراهيم : الدولة الرستمية ، ص 131 وما بعدها .

(95) وردت في الأصل « فأصابوا إلا دما » .

يلحقهم في قتيل قبله ، وقام مناد ينادي بين يديه إلا إن / فتنة محمود بن القليل المظلوم يأمركم بطلب ثأره ودمه ، فعجل الناس بجهازه ودفنه ثم جلسوا حلقا حلقا يذكرون أمرهم ، إلى أن بعث رجل يعرف بمحمود بن الوليد رجلا من خاصته يتعرفون أحوال الناس وما لهم عليه فرجعت رسله إليه فقالت قد حمى الوطيس وإننا ينتظرون محركا ، فصعد إلى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة ف ضرب الطبل فبادر الناس اليه وأمرهم باخذ السلاح والزحف الى ابي بكر وقربه (96) ، واتصل ذلك بابي بكر فابتدر اليه خاصته من السمحيين (97) والرستمين وغيرهم ، وزحف الناس من أعلى المدينة من ناحية المشرق ، وزحف قرب أبي بكر وشيئته وخاصته من المغرب ، ولبس كل واحد من الفريقين الدروع والبيض والرايات حتى اجتمع الناس جملة الآسير بموضع بمسجد أبي (98) فلم تزل الأيدي تتطاير والرجل كذلك والهامة تقلع وأمر على الفريقين الصبر ، فلما رأت العجم ما فتنة العجم وما

(96) قربه أي أقرباءه فإن الصغير يريد هنا قرب النسب لأقرب المكان على أكبر تقدير .

(97) وردت في الأصل « المسيحيين » وهو خطأ فادح ، والصحيح « السمحيين » مثما قال بذلك الباروني في أزهاره . وهؤلاء هم أتباع الموح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن المح المعافري ، وهم من الإباضية الوهبية الذين قبلوا إمامة عبد الوهاب ورفضوا قفز خلف بن الموح بن أبي الخطاب إلى ولاية نفوسة دون إذن من الإمام بشيهر وهذا لما توفي عامل نفوسة من قتل الإمام عبد الوهاب السحج ، أي والد خلف . وحاول خلف الاستقلال بجبل نفوسة عن الإمامة الرستمية فمضى الذين أتبعوه بالخلفيين والذين رفضوا رأيه ولم يقفوا الى جانبه بالمحميين . أنظر التفاصيل في : الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 148 وما بعدها وصفحة 231 علما بأن الباروني اعتمد على مخطوط لكتاب ابن الصغير لديه . عوض خليفات : التنظيم ، ص 103 ، بحار إبراهيم : الدولة الرستمية ، ص 126 وما بعدها ، و ص 135 .

(98) بياض في الأصل .

زل بين الفريقين من السباب والقتل قالوا قد امكننا في
العرب والجند ومواليهم وأتباعهم ما نريد ، فقوموا بنا مع
شتغلهم بأنفسهم حتى تثبت على طرف المدينة فقتل
مقاتلتهم ونحرب ديارهم وغيل على سائرهم فنهلكهم فيصفو
نا البلد والسلطان . وقد وقع بينهم وبين سلطان البلد من
الفتق ما لا يرتق أبداً له (99) ، ففعلوا ذلك وكانت الناحية
التي هموا بها قد أخذت على أنفسها وخافت مما قدره العجم
عليها ، فلما وافاهم العجم من الناحية المعروفة بموقف
لدواب بدر إليهم القوم فكان بينهم وبينه قتال شديد
أصحابهم مشغلون بأنفسهم كذلك الى ان سقط رجل من
لعجم فاحتزوا رأسه ، وسير به الى الفريقين وهما يقتتلان
نناداهم ويده الرأس : يا معشر الجند والعرب تقتلون انفسكم
العجم قد دخل عليكم ساحتكم يقتلون مقاتلكم ويستبيحون
عريمكم ، ثم ألقى الرأس فيما بينهم ، فلما نظروا الى الرأس ،
نقوا السلاح من أيديهم وتعاثقوا وقاموا بأجمعهم نحو العجم
قتلوا منهم خلقاً كثيراً وقبضوا منهم نفرأ يسيراً ، واعتزل ابو
يقظان الفريقين وصار الى وعدة (100) نفوسة ، والجند
العرب ترى انها ليس لها غير ما ظهر وانه يعين عليها في
باطن وبقي أبو بكر في داره لا يأمر ولا ينهى وقد تشاءم
نناس به ، وبقيت نفوسة معتزلة عن الفريقين واختلفت

(99) هذه كلمة زائدة .

(100) لعل الصواب عدوة بدل وعدة ، وقد ذكر ابن الصغير عدوة نفوسة قبل هذا الموضع
سوف يعيد ذلك في الصفحة التالية ، والعدوة المكان المتباعد ابن منظور : لسان ، م 2 ،

س 714 .

الحرب بين العجم والعرب وكان قد قبض العرب موالى من
موالى الأغلب (101) يقال له خلف الخادم وكانت له أموال
عظيمة فأعان القوم بنفسه وماله (102) ، ثم لم تزل الحرب قائمة
الى ذات يوم وقعت حربة في جوار درب النفوسيين وكانت
العرب والجند اذا غلبت على العجم أخرجتها من بعض
ديارها في حالها فقال لهم خلف الخادم : وما تصنعون
شيئاً ، اذا غلبتم على شيء من ديارهم فأضرموه نارا ، فلما
كان اليوم الثاني وقع الحرب فيه بجوار درب النفوسيين
وغلبت العرب والجند على ذلك الموضع وأزالت العجم
عنها (103) واستولت على الدرب وكان أكثره للعجم وبعضه
لنفوسه وأضمرت الدرب نارا ، فغضبت نفوسة عند ذلك
وقالت وقفنا عند حريمهم وأحرقوا ديارنا واستباحوا
حريمنا . فعند ذلك حيت نفوسة وصارت كلمتها وكلمة
العجم واحدة ، وجبدوا (104) الى انفسهم ابا اليقظان فلما
اجتمع امر العجم ونفوسة والرستية وأبي اليقظان وصار الأمر
اليه اشتد الحرب على العرب والجند وضيق عليهم العجم
ونفوسة وأبو اليقظان حتى ضموهم الى اطراف مدينتهم

(101) أي الأغلبية حكام إفريقية أو الدولة الأغلبية ومؤسساها هو ابراهيم بن الأغلب الذي
استقل بولاية إفريقية (تونس حالياً تقريباً) عن الخلافة العباسية سنة 184 هـ / 800 م . وأقره
الخليفة هارون الرشيد على ذلك .

(102) ألا يمكن أن نفهم من هنا أن للأغلبية يداً في هذه الفتنة التي عصفت بالدولة
الرستية ؟

(103) الأصح « عنه » أي عن الموضع .

(104) جبد جبدأ في العربية مثل جذب جذبأ كلاماً صحيح ولما نفس المعنى : ابن
منظور : لسان ، ج 1 ، ص 394 .

واستولوا على أكثرها ، ثم كانت بينهم وقائع كلها للعجم ونفوسة على العرب ، منها وقعة تعرف بـ قنطرة السدّيس ومنها وقعة تعرف بـ قنطرة سليس ، وفزع في هاتين الوقعتين وجوه العرب وضاديدهم ، ثم كانت وقعة تعرف بيوم الرد المعوج ، فيما ذكر ، ان نفوسة فروا بعضها على بعض وقال بعضهم كيف يجوز لنا الفرار من الزحف قالوا فما وجه الرأي قالوا الرأي ان نضم لرجل⁽¹⁰⁵⁾ بعضنا الى بعض بحبال ونثبت للحرب فكلما دارت الى ناحية درنا معها بوجوهنا ولا نبرج من أمكنتنا حتى يقطع السيوف في هاملتنا فكان في ذلك اليوم قتال لم يتقدم قبله قتال مثله ، فكلما دارت الحرب على ذلك الرد دار اليها ودار معها حتى افترق القتال وهو على حاله ، ثم لم تزل الحرب قائمة وأمور العرب والجنّد تزيد وتقوى وأمور العجم ونفوسة تنقص وتضعف حتى أجلّهم⁽¹⁰⁶⁾ على الأمصار واضرموها بالنار ، وصار للعجم ونفوسة والرستيين موضع واحد في العدوّة المعروفة بـ عدوّة نفوسة فبنوا حصنهم فيه وشيدوه ، وتبع من العرب والجنّد قوايع من التجار منهم ابو محمد الصيرفي وابن الواسطي وغيرهما من وجوه التجار وهم ذوو أموال ، فقالوا للعرب والجنّد لو بنيت حصنا تأمنون فيه ليلكم وتتحصنون فيه إن دهكم شيء من عدوكم ، وهذه أموالنا في ايديكم ، فشرعوا في بناء الحصن ، ولم يكن بين حصنهم وحصن عدوهم

(105) هكذا وردت ، ولعل الصواب : «أرجل»

(106) الصواب أن يقال «عن الأمصار» .

الا قدر رمية رام بسهم ، إلا أن بينها نهرا يعرف بـ النهر الصغير ، قالوا وربما كان البناءون يننون والنبل تصيبهم فيحفلون لهم ستارة حتى استدار حصنهم وركبوا له أبوابه وعلّته أبرجته والحرب لا تفتر ليلا ولا نهارا ، وحيت فيما بينهم حمية الجاهلية وجرت بينهم الحرب سمعة ورياء .

أخبرني بعض المشائخ قال : صفت نفوسة والعجم ومن لف لفهم بين يدي حصنهم وعلى حصنهم ، فبرز رجل من العجم يقال له ابن وردة⁽¹⁰⁷⁾ ويده سيف ودرقة ، وكان كل من مر إلا وقتله ، فنادى هل من مبارز⁽¹⁰⁸⁾ ؟ فهابه الناس الى ان قال ، وان العجم والنفوسة والرستيين ، لما نزل بهم ما نزل تفرقوا في أقاصي البلاد ، فنزلت العجم بموضع يقال له تسايغيت⁽¹⁰⁹⁾ وهي على مرحلتين من مدينة تاهرت ، وأما الرستية ومن لف لفها فلحقوا بابي اليقظان بالموضع الذي يقال له اسكدال⁽¹¹⁰⁾ وهو بقبلة تاهرت على مسيرة اليوم وازيد قليلا في مجتمع الاباضية ، وأما نفوسة فنزلت بقلعة مانعة يقال لها اليوم قلعة نفوسة . فنزل محمد بن مسالة⁽¹¹¹⁾ تاهرت ، وخرج أبو بكر مع من خرج لا

(107) سبق وأن ذكر ابن الصغير رجلاً بهذا الاسم من العجم ، بل هو مقدم العجم ، فكان له سوق يعرف به لا يحسر صاحب شرطة أفلح على دخوله هيبه .

(108) وردت في الأصل : هل من بارز والصحيح : هل من مبارز ؟

(109) لا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع الذي يبعد عن تاهرت بمرحلتين .

(110) إسكدال لا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع الذي به مجتمع الإباضية .

(111) محمد بن مسالة من المنشقين عن الإمامة بتاهرت ، وقد ذكر ابن الصغير في الصفحات السابقة ، لما تطرق إلى الإفتراق الثاني في عهد عبد الوهاب ، وسبب الإنشقاق هو أن الإمام عبد الوهاب تزوج فتاة كان ابن مسالة قد خطبها من أهلها قبل الإمام ، فغضب ابن مسالة لذلك .

هياً ولا ميتاً ، فلم تزل أمور الناس هادئة حتى وقع شيء ^{خروج أبي بكر}
بين هواره ولواتة وكانت لواتة إذ ذاك بالمدينة مع أهل ^{وانهزامه}
المدينة فتسلطت عليها هواره بسلطانهم وأعانتها أهل
المدينة ، فلما رأت لواتة ذلك ظنعت عن المدينة وخلت
عنها ونزلت بمحصنها المعروف بحصن لواتة ، وأرسلت إلى أبي
اليقظان فانزلته في جوار منها على مسيرة أميال بموضع يقال
له ⁽¹¹²⁾ تسليونت ، ومن تسليونت مخرج عيون نهر مينة
الجارى من قبله تاهرت الذي نصبوا عليه أرحائهم ، وكان
أبو اليقظان معه بعض الاموال التي قدم بها من بغداد ،
والمدينة بها رجال هوامهم وقلوبهم عند أبي اليقظان ،
فخرجت اليه فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان ،
رائته الإباضية من كل الاقطار وبقي بالمدينة أمم ممن لا
يوالون أبا اليقظان ولا يرون رأيه ويوالون محمد بن مسالة
على عيمات لا علم لنا بها ، فتجدرت الحرب وعادت
جذعة ⁽¹¹³⁾ ، وحمل أبو اليقظان الناس على الخيل ودعي له
بالإمامة والامامة وألغى ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة ، وأبو
اليقظان يغزو المدينة وتجرد إليه أهل المدينة فتكون وقائع
وقتل له ثم ينصرف فلم تزل حروب كذلك وعلى ذلك سبع

« وغضبت عشيرته فارتحل نحو المغرب حتى نزل بوادي هواره وبينه وبين تاهرت نحو من عشرة
أميال أو أكثر . ولما كانت هذه الفتنة ، استغلها محمد بن مسالة فرجع إلى تاهرت ونزلها . وانظر
كذلك البعقوبي : البلدان ، ص 106 وما بعدها .
(112) هكذا وردت في الأصل ، ولكنها في نسخة الشيخ أبي اليقظان « تاملونت » ولا ندري
معهده . ولا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع .
(113) وردت في الأصل جزعة بالزاي . واصلها جذعة ، يقال جذع أي قطع .

سنين حتى خلت وذهبت الاموال وعادت كما قال أمرؤ
القيس ⁽¹¹⁴⁾ شطء ⁽¹¹⁵⁾ وان ابا اليقظان لما رأى من طول
الحرب ما رأى كتب الى جيل نفوسة يستفهمهم ... ⁽¹¹⁶⁾ .

... ⁽¹¹⁷⁾ جددوا له البيعة وعقدوها له ، وانهم لما نزلت
بأبي اليقظان اجتمع الى أبي اليقظان جمع عظيم فرحل بجميع
جموعه من نفوسة وغيرها ، حتى نزل من المغرب من مدينة
تاهرت فلما نزل منزله . قالت نفوسة لا تقاتل حتى نرسل
الى إخواننا وننذرهم فان جاءوا ورجعوا الى الطاعة كانت
أيدينا وأيديهم واحدة وان أبوا من ذلك نزلنا معهم على حكم
الله ، قال افعلوا ، ففعلوا فأرسلوا رسلهم وخوفوا الناس من
شر العواقب ووجدوهم قد ملوا الحرب فقالوا لرسلمهم قد
تقدمت فيما بيننا دماء وأموال لا منا ولا منهم ونخشى أن
يأخذ الباقي من الغائر فان كان عقدوا صلحا على ان لا
يتبع احد بدم ولا مال فسمعنا وطاعة ، فأعلمت نفوسة ابا
اليقظان بما قالت رسلهم ، فقال معاذ الله ان نأخذ أحدا بما

(114) أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني أكل المزار . أشهر شعراء العرب في
الجاهلية وهو من أصحاب المعلقات . توفي حوالي سنة 80 قبل هجرة الرسول (ص) . الزركلي
الأعلام ، ج 1 ، ص 351 .

(115) وردت في الأصل « شطء » ويشير ابن الصفيح هنا إلى هذه الأبيات لامرؤ القيس :
الحرب أول ما تكون فتنة
تسمى ميزنتها لكل جنود
حتى اذا استمرت وشب ضرامها
عادت عجوزاً غير ذات خليل
شطءاء جزت رأسها وتنكرت
مكروهة للثم والتقبيل

أنظر ديوان امرؤ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص 353 .

(116) هكذا وردت في الأصل ، ولا ندري أهو اجترأ من موتيلانسي أم هو في المخطوط
الذي نقل عنه . وربما الصحيح يستفهمهم .
(117) بياض في الأصل .

سلف ولا أخذ إلا بما يستقبل فأعطوهم على هذا ما أحب من العهود والمواثيق ، قال ثم خرجت طائفة من عسكر أبي اليقظان حتى اجتمعت بطائفة من اهل المدينة فعمدوا ذلك فيما بينهم ، فقالت نفوسة نحن انما جئنا لإصلاح بيضتنا وتأليف أمرنا وقوام ديننا ولم نأت لطلب علو في الأرض ولا فساد ، فرحل أبو اليقظان بعساكره حتى أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروف بقلعة نفوسة فضرب بها سرداقه الذي قدم به من بغداد ، قالوا ولم ير سرداق مضروب قبله وانما كانت مضارب وقباب ، ثم ان اهل المدينة عمدوا الى داره التي هدموها وكانت مزبلة من المزابل وكدية من الكدي فكنسوها في يومهم ذلك فابتنوها في أسرع الأيام فلما فرغت نزلها أبو اليقظان ورفع مضاربه ونزل الناس المدينة .

دخول أبي اليقظان (118) تاهرت وسيرته

قال لي جماعة ممن شافهني من الاباضية وكلمني ، لما دخل أبو اليقظان المدينة ونزلها كان أول شيء نظر فيه من أمور الناس ان استصلح لهم قاضيا ، بعد ان شاور جماعة منهم ، فأشاروا به وكان اسم القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ ، ثم ولي على بيت ماله رجلا من نفوسة . ثم قدم على منبره من ارتضاء هو بنفسه ، ثم أمر قوما من نفوسة يمشون في الاسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، قالوا ، فان رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه ، ون رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمرؤا صاحب بالتخفيف عنها ، وإن رأوا قدرا في الطريق أمرؤا من حوز الموضع أن يكنسه . ولا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم . ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعا يديه ما خلا المسجد الجامع إن رأوا فيه من رفع يديه منعه وزجروه فان عااد ضربه ، وكانت خطبهم على منابرهم

(118) أبو اليقظان محمد بن أفلح : (261-281 هـ) هو الإمام الرسمي الخامس - بعد ترجمته في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير ، ص 98 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ص 84 ، بحار ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 132 وما بعدها ، جودت عبد الكريم : الملائكة ، ص 66 وما بعدها هامش رقم 1 .

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (119)، ما خلا خطبة التحكيم (120). فلم يزل قاضيه محمد بن عبد الله يحسن السيرة فيهم ويأمر بأمر أبي اليقظان وينهى إلى نهي لا تأخذه في الله لومة لائم، إلى أن حدث حدث فأصبح بالغددة إلى أبي اليقظان فرمى إليه خاتمه وقطره فقال ول على قضائك من تريد؟ فقال له مالك (121) وما اعتراك؟ فقال له ما تقمت عليك شيئاً ولكن تقمت على بنيك، فقال ما بال بني؟ قال خليتهم عالية على الناس، فغضب أبو اليقظان مما استقبله به ولم يرد عليه شيئاً. وكان للقاضي حاسدون ومبغضون، فلما انصرف من عند الإمام قال لمن حوله إذا كان بالغددة أمضوا إلى محمد واسئلوه ما تقم علي، وعلى من تقم لنزجره لما كان منه. فقدموا إليه فأعلموه، فقال لهم دعوني من هذا والله لا وليت له قضاء أبداً فانصرفوا عنه وقد وافق ذلك سرورهم لحسدهم إياه وبغيتهم عليه، وأتوا أبا اليقظان فقالوا، أصلح الله الأمير، الرجل به حق ولك في المسلمين من هو أنفع للمسلمين منه، فلم يزالوا به حتى صرفوه وولوا القضاء رجلاً يقال له شعيب بن مدمان، فقلت يوماً لسليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي ما السبب الذي كره

القاضي محمد بن عبد الله، وما كان من أمره

منه محمد بن عبد الله القضاء حتى ألقى الخاتم والقمطر وشافه أبا اليقظان بما شافه به؟ فقال نعم، أجرك الله يا ابني، إنما نحن ذات ليلة جلوس بعد العشاء الأخيرة وكان كثيراً ما يؤثر بي لحوائجه على غيري، فبينما نحن كذلك إذ دق علينا الباب دقا عنيفاً، فقال لي يا سليمان قم فإني خشيت أن يكون حادث من قبل السلطان، قال ففتحت الباب فإذا أنا بجارية منبهة ومعها صقلي معه سراج، قال فقلت ما بالك أيتها المرأة؟ فقالت القاضي أريد، فرجعت إليه وأعلمته، فقال أدخلها، فأدخلتها، فلما مثلت بين يديه، قال لها ما بالك أيتها المرأة وما جاء بك هذه الساعة؟ فقالت نعم دخلت علي الساعة خدام من قبل زكرياء ابن الأمير وأخذوا ابنتي من بين يدي، فقلت لإبني قم فاتبعهم، فقال أخاف إن أردت ذلك أن يقتلوني وإن لم يقتلوني خفت أن يديسوا علي عاملاً من عمالهم أو لصاً من لصوصهم فيقتلوني، قال فسقط القاضي كالمغشي عليه. ثم أفاق، فقال لي يا سليمان قم؟ ثم قام، فقال لي خذ سراجك ولا يشعر بك أحد وتقلد سيفاً واعطني عصاي، ففعلت، ثم قال أخرجني أيتها المرأة فخرجنا، ثم قال إلى أين تظنين يقصد بابتنتك؟ فقالت إلى دار الزكاة، قال فسار وسرت معه والجارية معنا حتى أتينا قرب الدار، فقال لي يا سليمان غيب السراج لئلا يشعر بنا أحد، قال فسترته، فقال لي دق الباب دقا لطيفاً، فإذا فتح الباب فأظهر السراج، فلما رأى صاحب الدار وأهل الدار القاضي يرتاعوا ارتياحاً

(119) عن يندعش قدم مع ما ذهب إليه ابن الصغير في س 44 حيث ذهب إلى أن الإباضية أو الرستقيين يتبرأون من الإمام علي بن أبي طالب (ض). إذ لو كان الأمر كذلك لما خطبوا بخطبه على المنبر أيام الجمع. ولعل البراءة من الإمام علي (ض) عنيد الإباضية قديماً يقتصر على البعض دون البعض الآخر أنظر ص 81 هامش 126

(120) سيذكر ابن الصغير في آخر الكتاب خطبة التحكيم. وسميت كذلك لأنها تحتوي على عبارة "لا حكم إلا لله".

(121) وردت في الأصل "ما بالند"

شديداً ، وقالوا فما بال القاضي ، أعزه الله ، وما جاء به ؟ فقال لي يا سليمان اصعد الى اعلى الدار واحذر ان ينزل احد من جوانب الدار ، ففعلت ، قال ثم اقبل يتخلل بيوت الدار بيتا بيتا وموضعا موضعا فلم ير شيئا ، ثم صعد أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئا ، قال ، ثم عطف على صاحب الدار . فقال له ، هل رأيت زكرياء ابن الأمير او كان معك اليوم ؟ فقال نعم ، كان اليوم عندي فلما كان الليل أتى بفرس فركبه ، قال هل تعرف له موضعا ؟ قال لا والله أصلح الله القاضي ، فسقط في يده ثم لم يصبر⁽¹²²⁾ الا ان وصلها الى دارها ، ثم انصرفنا الى دارنا ، فما نام تلك الليلة حتى طلع الفجر ، فغدا بخاتمه وقطره وألقاه الى صاحبه ، وكان ابو اليقظان عاش من السنين مائة ونحوها⁽¹²³⁾ وكان عمره في إمارته نحو من أربعين عاما⁽¹²⁴⁾ ، وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه ، وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي ، ورأيت يوما ثانيا في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من ادم فجلس علينا ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس ، وكان

(122) وردت في الأصل « يصب »

(123) يذكر أبو زكرياء والدرجيني أن أبا اليقظان عاش حتى كبرت سنه ورق عظمه : أنظر : سير . ص 98 . طبقات ، ج 1 ، ص 84 .

(124) تتفق المصادر الإباضية مع ابن الصغير على أن الإمام أبا اليقظان مكث في إمارته أربعين عاما . ويبدو أن التاريخ الذي وضعه جودت عبد الكريم لإمامة أبي اليقظان صحيح وهو (241 هـ - 281 هـ) وأنظر رأيا آخر في مجاز ابراهيم : الدولة الرستمية ص 132 وما بعدها . أبو زكرياء : سير . ص 98 والدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 83 . جودت : العلاقات الخارجية . ص 66 هامش 1 وما بعدها .

مربع القامة أبيض الرأس واللحية . وكان اذا جلس الناس وامرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه الا أن تكون ظلاما ترفع اليه ، وكان زاهدا ورعا ناسكا سكيئا وكان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من آدم مستقبلا الباب البحري ، وله سارية تعرف به يجلس اليها ، ولم يكن غيره يجلس اليها ، وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس ، وكان عندهم من الورع بكان ، ويلى عيسى رجل من هواره يقال له ابن الصغير ، شأنه في الفقه ولم يكن في ورع عيسى ، وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس ، وكان اخص الناس به رجل من العرب يعرف بمحمود بن بكر⁽¹²⁵⁾ ، وكان غالبا فيهم تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب⁽¹²⁶⁾ ، وكان مدارم الذي يذب عن بيضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق في مقالاتهم ويؤلف الكتب في الرد على مخالفهم⁽¹²⁷⁾ ، وكان رجل يقال له عبد الله بن اللطفي ، أخبرني أحمد بن

(125) لا تذكر كتب السير والطبقات الإباضية هؤلاء الفقهاء : عيسى بن فرناس وابن الصغير ومحمود بن بكر ، اللهم إلا ما ذكره الشافعي نقلا عن ابن الصغير ، أنظر سيره ص 222 .

(126) ذكر ابن الصغير في بداية كتابه أن الإباضية يتبرأون من الإمام علي بن أبي طالب (ض) دون استثناء ، وهنا يبدو ابن الصغير لا يهتم الإباضية كلها بالبراءة من علي (ض) وإلا فلماذا ذكر محمود بن بكر وحده وقال عنه بأنه تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي . ونسبته إلى الغلو فقال « وكان غالبا فيهم » وهذا يعني أن الإباضية الآخرين ليسوا من الغلاة .

(127) لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر على مخالفي الإباضية ، ولعلها ذهبت ضحية حرق مكتبة الرستمين في المصومة من قبل أبي عبد الله الشيعي داعية العبيديين لما دخل تيهرت غازيا سنة 296 هـ . أنظر مجاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 310 وما بعدها ، 316-312 .

بتير⁽¹²⁸⁾ عند . قال لي اجتمع المعتزلة⁽¹²⁹⁾ والاباضية بنهر مينة لموعده جعلوه فيا بينهم للمناظرة⁽¹³⁰⁾ وكان كثير من هواره من حضر⁽¹³¹⁾ يسمى بعبد الله بكسر الدال وكذا اسم الرجل ولما اجتمع القوم وضمهم المكان نادى رجل من المعتزلة . يا عبد الله بكسر الدال ، فاجابه رجل من القوم ، فقال لست أريدك . ثم نادى ثانيا فأجابه رجل ثان فقال لست أريدك ، قال عبد الله وقد علمت أنه اياى يريد فكرهت أن أحبيه خوفا من سؤاله ، فقال عبد الله بن المظلي ريد ، فقلت لبيك فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه ، فقلت لا ، فقال هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه فقلت إذا شئت . فقال خرجت منها يا ابن المظلي ، وكان

(128) لعله ابن لأحد المقرئين من الإمام أبي اليقظان الذي يدعى بشيراً أنظر الصفحة التالية 37 ومن هنا تأتي أهمية أخبار ابن الصغير .

(129) المعتزلة مذهب من المذاهب الدينية والفلسفية في الإسلام ، وقيل ان سبب تسمية المعتزلة بهذا الإسم ، إنما كان لكلمة أطلقها الحسن البصري على تلميذه واصل بن عطاء لما قال المعتزلة بين المزلتين ، إذ رد عليه الحسن البصري قائلاً « إعتزلنا واصل » وتتلخص معتقدات المعتزلة في (أ) الميزة بين المزلتين ، (ب) نفي الصفات (ج) القدرة (د) خلق القرءان . وغيرها كثير . ويذكر البكري أن جميع الواصلة (وهى المعتزلة من أتباع واصل بن عطاء) كان قريسا من بيهرت . ومن عدهم نحو ثلاثين انفا في بينوت كبيوت الاعراب . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ج 1 ، ص 60 . عبد الستار عز الدين الراوي : ثورة العقل (فكر معتزلة بغداد) ، ص 49 وما بعدها . البكري : المغرب ، ص 67 .

(130) أنظر رواية المناظرات التي جرت بين الإباضية والمعتزلة في أبي زكرياء : سير ، ص 67 . الدرر جيني : طبقات ، ج 1 ، ص 57 ، الشماخي : سير ، ص 222، 134 . وراجع إسماعيل إبراهيم : الدولة الرستمية ، فصل المناظرات وعلم الكلام ص 357 وما بعدها .

(131) وردت في الأصل « حض » وهي تصحيف

منهم رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج⁽¹³²⁾ كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع . اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه . وقد رأيت أن هذا الرجل وجلس اليه فما رأيت في سود الرؤوس رجلا أشجع منه . وكان قليل الدخول على أبي اليقظان ولم يكن يجمعه وایاه سوى المسجد الجامع ، فحدثني أحمد بن بشير قال ضرب أبو اليقظان سرادقه لحدث أرادته وبرز بنفسه الى سرادقه ، قال وعلم الناس بخروجه فخرج اليه الفقهاء والقراء وضربوا ابنتهم حول سرادقه خلا ابا عبيدة ، قال فبينما الناس ذات يوم جلوس اذ اقبل ابو عبيدة راكبا على دابة . فقال الناس هذا ابو عبيدة قد اقبل متفقدا الامير مسلما عليه ، قال فاعلموا بقدومه ابا اليقظان فلما دخل عليه ادناه الى نفسه فقال ما جاء بأبي عبيدة الينا متفقدا ام مسلماً ام ماذا ؟ فقال . أصلح الله الامير ، ماجئت مسلما ولا متفقدا غير ان جارة لي خرج ولدها البارحة في طلب معاش له وها ، فأخذ المحروق صاحب حرك وحبه فأنتني الغداة باكية شاكية تسألني أن أسألك في إطلاق ولدها ، فأمر بان يطلق كل من حبس تلك الليلة إجلالا لأبي عبيدة . ثم سلم وانصرف ، فعحب الناس من صدقه وتركه التصنع وإظهاره

(132) أبو عبيدة الأعرج من علماء الإباضية بتيهت إلا أن كتب السير والطبقات الإباضية

لا تذكر عنه شيئا . وكثيراً ما أهملت تلك الكتب تراجم علمائها في تيهت ولعل ذلك راجع إلى اندثار وفقدان مثل تلك التراجم بسبب الفتن والحرق الذي ألحق بعاصمة الرستمين . ونشير إلى أن الشماخي قد ذكر أب عبيدة الأعرج وبعض العلماء الآخرين قولا عن ابن الصغير ، سير الشماخي .

ص 224 .

على لسانه ما اسر في قلبه ، وكان أبو عبيدة هذا عالما بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة . وكان مع دياناته حسن الادب والمروءة ، وقد اتيت يوماً أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة⁽¹³³⁾ على أبي عبيدة⁽¹³⁴⁾ ، فلما افتتحت قراءته وقلت « لعل ناظرا في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستفر من ترجمته ويربأ بأبي عبيدة عن الزلة » فلم أهزه ولم أمدده ، فقال لي يربأ بأبي عبيدة بهمة الالف وضمه وانما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة ، فلما قرأت من الكتاب مثل ورقة أو أزيد ، أتاه قوم فقالوا يا ابا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها . فأخذ نعله وعصاه ثم قام مع القوم ، فلما كان اليوم الثاني اتيت فلما قرأت مثل ما قرأت بالأمس أتاه قوم فقالوا يا ابا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها ، ففعل مثل ما فعل بالأمس ، فقممت معه وقلت له ، أصلحك الله . ان لي في الرهانة دكنا أبيع فيه وأشتري وأتركه وآتي اليك فيأتيك الناس فتشتغل عني لا أنا في دكاني ولا أنا في مقابلة كتابي ، فسكت . فلما كان بالغداة أتيت فلما قرأت بعض جزئي⁽¹³⁵⁾ ، أتاه أناس فسألوه كما سألوه قبل هذا ، فقال إن

(133) ابن قتيبة وهو أبو أحمد عبد الله بن مسلم الكوفي . بها مولده ويقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور . وتوفي ابن قتيبة سنة 270 هـ . له كتاب إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث . أنظر النديم : الفهرست ، ص 58-59 ، 85-86 ، 96 .
(134) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى التميمي من تميم قريش لا تميم الرباب له كتاب غريب الحديث ، توفي أبو عبيدة سنة 210 هـ وقيل 211 هـ . أنظر النديم : الفهرست ، ص 59 ، 85-86 ، 96 .
(135) لعل الصواب : بعض جزئه .

هذا اليوم لهذا الفتى فان أثركم على نفسه واذن لي سرت معكم ، فلما رأيت ذلك ، قلت له يا سيدي لا كل هذا فسر اذا شئت أو أم ، وانما ذكرت هذا لأدل على مروءته وحسن أدبه ، وكان المغرب كله مفتونا بهذا الرجل حتى ان من كان من الاباضية بسجلماسة⁽¹³⁶⁾ يبعثون اليه بركاتهم يصرفها حيث شاء ، وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان حتى أنهم أقامته⁽¹³⁷⁾ في دينها وتحليلها وتحريمها مثل ما أقامت النصارى عيسى ابن مريم⁽¹³⁸⁾ ، وكان أكثرهم لا يحج الا باستئذانه ، وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الاذن منه ، وكان اذا ضرب سرداقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فسطاطه شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى الى الفجر فاذا صلوا الفجر معه خرجوا بانفسهم الى الأرض فناموا⁽¹³⁹⁾ . وان ابا اليقظان لما استقام له ملكه أتته وفود نفوسة من الجبل المعروف بجبل نفوسة ليقدم عليهم أميرا من انفسهم فانزلهم في دار الضيافة ، فقال اكتبوا الي

أبو اليقظان
يُعيّن واليا على
نفوسة وقصة
عبد العزيز بن
الأوز

(136) سجلماسة : هي عاصمة دولة بني مدرار الصفيرية بُنيت سنة أربعين ومائة . أنظر تيكري : المغرب . ص 148 وما بعدها . الحوى ياقوت : معجم البلدان ج 3 ، ص 197 .
(137) الصحيح أن يقال « حتى أنها أقامته » أي قبيلة نفوسة .

(138) لا نعرف بالضبط وجه الشبه بين الإمام أبي اليقظان ورعيته من أهل جبل نفوسة من جهة وبين النبي عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه من النصارى من جهة ثانية فهذا التشبيه غامض نوعاً ما ولعل ابن الصغير يريد أن يعبر عن مدى طاعة نفوسة لإمامها أبي اليقظان لا غير .

(139) يذكر كل من أبي زكرياء والدرجيني والشاخي أن أهل جبل نفوسة يتخذون مجلس أو باب دار أبي اليقظان كمسجد يسهرون حوله ، طائفة يصلون وطائفة يقرأون القرآن . وطائفة يتسذكرون في فنون العلم ، أنظر سير ، ص 98 ، طبقات ، ج 1 ، ص 82 . سير الشاخي ، ص 222 .

أسماءكم كلكم وارفعوها الي وأمر الكاتب ان يكتب السجل ويبقى بياضا لموضع المقدم فلما رفع المقدم اسماءهم اليه كتب بخط يده اسم المقدم وطواه وطبعه ولم يعلم احد من الناس من قدم ، ثم جمع القوم وقال لهم هاكم السجل ولا تفتحوه الا بجبل نفوسة اذا بلغتم منازلكم ، فاخذ القوم السجل وقد اغتوا اذ لم يعلموا من المقدم عليهم ، ثم دخلوا على حمود⁽¹⁴⁰⁾ بن بكر وكان من الخاصة بأبي اليقظان فسألوه فقال لهم ما انا بأعلم منكم بما فيه ، ثم دخلوا على عيسى بن فرناس فاجابهم بمثل ما اجابهم حمود ، ثم لم يزالوا يدخلون على واحد بعد واحد من الاباضية فيسألونهم فيخبرونهم بان لا علم لهم . فلم يزالوا كذلك الى ان مروا بعبد العزيز بن الاوز ، وكان له فقه بارع وله رحلة نحو المشرق ، ولكنه سفيه اللسان خفيف العقل ينزهون مجالسهم عن حضوره ويستغنون عنه في معضلات مسائلهم ، فما شعر أن دخلوا عليه فقال ما بالك وما جاء بك ؟ فقالوا فرحنا بشيء واغتمنا منه ، قال وما ذلك ؟ قالوا فرحنا بتقديم الامام لنا واغتمنا اذ لم نعلم من قدم علينا ، قال أو لم تعلموا من قدم عليكم ؟ قالوا لا ، قال قدم عليكم أفلح بن العباس⁽¹⁴¹⁾ .

(140) ذكره ابن الصغير في الصفحة السابقة باسم حمود بن بكر .

(141) أفلح بن العباس : هو الوالي على جبل نفوسة من قبيل الإمام الرستي بتاهرت ، وكان قبله الوالي أبو منصور إلياس الذي تولى ولاية نفوسة للإمام أفلح ثم لآبي اليقظان بن أفلح ثم لآبي حاتم بن أبي اليقظان ، وفي عهد هذا الأخير توفي أبو منصور إلياس وتولى من بعده الولاية أفلح بن العباس وهذا حتما تشير إليه المصادر الإباضية ، انظر أبو زكرياء : سير ، ص 104.99 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84.87 . الشماخي : سير ، ص 262 .

قالوا ومن اسمك ذلك ؟ قال ابو اليقظان ، قال فخرجوا من عنده فأتوا حمود بن بكر وعيسى بن فرناس فقالوا لهما مكانكما من الامام مكانكما ومكاننا منكم مكاننا فكتمتا المقدم حتى اخبرنا به من هو دونكما ، فقالا والله ما علمنا الا كعلمكم ، فمن اخبركم ؟ قالوا عبد العزيز بن الاوز ، قالوا ومن أخبر عبد العزيز ؟ قالوا ابو اليقظان قال فخرجنا يجران ارديتهما حتى دخلا على ابي اليقظان ، فقالا انت اعلمت عبد العزيز ان المقدم في سجلك على نفوسة أفلح بن العباس ؟ فقال لا ، قال فقد ذكر نفوسة⁽¹⁴²⁾ انك أعلمته بذلك دوننا ودون غيرنا ، قال أو قال ذلك المجنون ؟ قال نعم ، فنأدى يا بشير خذ معك اعوانا كفيا وحيء بعبد العزيز شر محيي . ثم قال ادخلا على نفوسة واجلسا - ن يأتي المجنون ، قالوا فما شعرنا ان جيء به ، فقال فمن اعلمك يا مجنون اني قدمت على نفوسة أفلح بن العباس ؟ فقال انت أعلمتني ، قال في اليقظة أم في النوم ؟ قال لا ولكن في اليقظة . قال وكيف ذلك ؟ قال رأيته اذا يسمى رجل منهم انقبض ما بين عينيك واذا سمي لك أفلح بن العباس انبسط ما بين عينيك ، فعلمت انك إياه تريد ، فقال خليا عن المجنون فقد كشف سرنا . فلم تنزل ايام أبي اليقظان

جانب من
سياسة أبي
اليقظان المالية

(142) المقصود به « ذكر أهل نفوسة » .

وكان خادما لأبي اليقظان في جميع أسبابه وكان يتولى علف فرسه ، قال لي احمد بن بشير : قال لي ابو سابق ، خرج ابو اليقظان يوما الى منزله الذي كان اختصه ⁽¹⁴⁴⁾ بتسلون ⁽¹⁴⁴⁾ يتفقد في سايعة ⁽¹⁴⁵⁾ وعبيده وابطأ في انصرافه الى ان دخل الليل ، قال ابو سابق فحططت عن الفرس وربطته على مدرته ، وخرجت لآتي له بعلفه من عند حريف ⁽¹⁴⁶⁾ لي فألفيته قد اغلق الباب فملت الى بيت المال ففتحته واخذت منه علف الفرس ، وعلقت عليه ، ثم رجعت الى موضعي من القصر واذا بأبي اليقظان قد افتقدني مرة بعد أخرى فلما رأيته جعد اليه خادم فاخبره بمجيئي ، فقال أصدده الي ، وكان يستريح الي ويسألني عن اخبار الناس ، فقال وما حبسك وما ابطأ بك ؟ فاعلمته خبر الحريف غيبته ومجيئي لبيت المال واخذي العلف منه وتعالفي اياه الفرس ، فقال هه يا ابا سابق والله لا قام محمد ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في بيت المال ما أخذته منه ، قال فضيت في ليلتي تلك حتى أتيت حريفي. واخرجته من داره واخذت منه علف الفرس ثم مضيت وانزعت الحلة عن الفرس فكلت ما بقي واتممت ما اخرجت من بيت المال ورددته فيه

(143) ربما الصحيح اختطه .

(144) انظر ص 74 هامش 112 .

(145) سايعة . لا نجد هذه الكلمة في المعاجم العربية . ولعلها من اصل كلمة استسعى وسمى فيقول " سعى المكاتب في عتق رقبته سعاية " واستسعى العبد أي كلفه سيده من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا عتق بعضه ليعتق به ما تبقى . والسعاية ما كلف من ذلك . ابن منظور : لسان ، م 2 ، ص 152 .

(146) أي صاحب حرفة ، والمقصود هنا شخص تعود أن يشترى منه العلف .

وعلقت ما بقي على الفرس ، ومضيت اليه فاصبته جالسا ينتظرني ، فقال ما وراءك يا ابا سابق ؟ فاعلمته بما صنعت ، فقال لي احسنت اما الآن فأجلس . أولا مات ابو اليقظان فكل شيء وجد له من العين في تركته سبعة عشر دينارا ، وكانت لأبي اليقظان في امارته وقائع صارت تاريخا لموالد الناس لشهرتها الى ان قال ثم مات ابو اليقظان سنة احدى وثمانين ومائتين ⁽¹⁴⁷⁾ وخلف من الولد الذكور عددا منهم يقظان الذي كني باسمه وكان ابنه يقظان هذا خرج الى الحج في حياة ابيه ، ويوسف وهو المكنى بأبي حاتم وابو خالد وعبد الوهاب ووهب وغيرهم ممن له ذكر . وانه لما مات ابو اليقظان قامت العوام واهل الحرف ⁽¹⁴⁸⁾ ومن لف لفهم ⁽¹⁴⁹⁾ ، أقدموا ابنه ابا حاتم بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم ، وكان أبو حاتم هذا فتى شابا وكان يجمع الفتيان الى نفسه فيطعم ويكسي ، وكانت له أم تسمى غزالة وكانت مالكة لأموار أبي اليقظان وحشمه ، فلما كان في بعض الاعياد وابو اليقظان حي في قصره لم يحضر المصلى مع الناس حملته العوام على درقة ⁽¹⁵⁰⁾ ونادت بطاعته ، فلما اتصل الخبر بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة فقد أصبح ابنك باغيا .

(147) هذا هو التاريخ الوحيد الذي ذكره ابن الصغير في كتابه .

(148) وردت في الأصل " أهل الحروف " والصحيح ما أثبتناه في المتن ، وهو أيضا ما ترجمه

موتيلانسكي أنظر Actes du 14^e congrès p.114

(149) وردت في الأصل " ومن لف لفهم " .

(150) درقة : الدرق ضرب من الترس (جمع ترس آلة السلاح المعروفة) الواحدة درقة

تتخذ من الجلود أو هي الخجفة وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب ، ابن منظور :

لسان ، م 1 ، ص 971 ،

ولاية أبي حاتم وإيامه (151)

وهو يوسف بن محمد ، وقال مات أبو اليقظان وابناه جميعا غائبان ، يقظان بالموسم وأبو حاتم قد كان أخرجه أبوه في جيش مع وجوه زناتة ليجيروا⁽¹⁵²⁾ قوافل قد أقبلت من المشرق ، وفيها أموال لا تحصى قد خافوا من قبائل زناتة ، فبينما أبو حاتم في القوافل قد خرج إليها إذ وافته خاتم رسل بموت أبيه وعقد الامارة له ، وذلك ان أباه لما مات اجتمعت العوام والفرسان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم وأبو (حاتم) على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر ، فلما وصل الى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوا ، فلما وصل المسجد الجامع الا وقت الظهر ، فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الايدي والأعناق ، حتى وصلوه الى داره ، ثم أرسلوا الى القبائل فبايعته ، فلما كمل امره وتمت بيعته

(151) أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان (281 هـ - 294 هـ) من الإمام الرستمي السادس . أنظر مزيداً من المعلومات عنه في المصادر الإباضية . أبو زكرياء : سير ، ص 99 وما بعده . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84 وما بعدها الشماخي : سير ، ص 262 . بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية ، ص 134 . جودت عبد الكريم : العلاقات ، ص 68 .
(152) وردت في فصل « ليجوروا » وهو خطأ والصحيح يجيرون أي يراقبوا ويؤمنوا وصول القافلة إلى تاه .

خلت به عشيرته وأخوته وأعمامه وبنو أعمامه ومواليه فاحبوا
ان يجعلوا له حجاباً وهيبه ، وأبت العوام من ذلك واراندت
السدنو إليه في كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل
إمارته . وكانت مشايخ البلد من غير الاباضية قد استولوا
عليه ، منهم رجل يعرف بأبي مسعود وكان كوفياً فقيهاً
بمذاهب الكوفيين⁽¹⁵³⁾ ، ومنهم شيخ يعرف بأبي دنون ،
وكان على مثل صاحبه من الفقه الكوفي ، ومنهم رجل
يعرف بعلوان ابن علوان لم يكن من أهل الفقه ولكن كانت
له رئاسة في البلد ومحبة عند العوام ، وكانوا⁽¹⁵⁴⁾ هؤلاء قد
طمعوا ان يبيتوا خبر الاباضية ويطفوهم ، وكان لأبي حاتم
رجلان من خاصته من أهل المدينة من أهل الحرب
والنجدة ، وكانا هما اللذان وليا العقد له ، وكان يعلم منهما
انهم جريئان . وذلك أنه انصرف يوماً من عند أبيه وقد
أخذ⁽¹⁵⁵⁾ في شيء عليه ، فقالا له ما بالك ؟ فقال نازعني
أبي كذا وحل علي أخي بكذا ، فقالا له لا عليك اثبت كما
انت واخل بيننا وبين هذا الخوواء⁽¹⁵⁶⁾ نحن ندخل اليه
فنقتله ويصير الأمر اليك ، فهاله ما سمع منها فاستنكر
ذلك وكان يقول لأحدهما محمد بن رباح وللآخر محمد بن

فتنة محمد
بن رباح ومحمد
بن حماد

(153) لعل أبرز مذاهب أهل الكوفة في هذه الفترة المذهب الحنفي حيث أن الكوفة هي
موطن أبي حنيفة الشعمان بن ثابت (150-80 هـ) إمام المذهب الحنفي . وكذلك نجد الشيعة
تستوطن هذه المدينة حيث مشهد الإمام علي (ض) .

(154) الأصل أن يقال « وكان هؤلاء » .

(155) ربما الصحيح « وقد أخذه » .

(156) الخوواء أو الخوواة وكلاهما يجوز وهو الرجل الأحمق . ابن منظور : لسان ، م 1 ،

حماد ، فاتصل بأبي حاتم مع منافرتهم لمشايخ أهل المدينة انها
قد قالوا لمشايخ أهل المدينة مثل ما قالوا له في أبيه ، فلم
يشك أبو حاتم عند ما بلغه انها قد قالوا ما قالوا . فجمع
جماعة من أهل بيته وجماعة من أهل المدينة ، فقال لهم
أخرجوا عني محمد بن رباح ومحمد بن حماد فأمر بهما فأخرجوا .
وكان لمحمد بن حماد على بعض أميال من المدينة منزل يقال
له المثلث قد جمع الأشجار والأنهر⁽¹⁵⁷⁾ والمزارع والنخل
والقصور فخرجوا جميعاً الى ذلك المنزل في أنعم عيش
وأرغده ، ثم أبه⁽¹⁵⁸⁾ الشيطان لهما الى ان جاء لهما واقبل
وادبر فقال مثلكما ينفي وانما اللذان عقدتا الامارة ؟ فلم
يزالا يرسلان رسولا بعد رسول الى من في المدينة من
أخوانها ويقولان لهم اترضون ان يكون مثلنا ينفي من
البلد بلا جناية كانت منا . فيجتمع اخوانهم ويقولون والله
لقد صدقا ، ثم اتفق من بالمدينة من اخوانهم على ان يرسلوا
اليهما فيدخلوهما على رضي الراضي وسخط الساخط ، فما
شعر أبو حاتم الا والتكبير عليها في المدينة ، ففرغ لذلك
وارتاع وعلم انها ليست بدار قرار ، فاجتمع اليه قومه وأهل
بيته فقالوا له قد اعلنناك هذا أولاً ، ولكن أقم بين ظهران
القوم ونخرج نحن الى حصننا الذي به مواشينا وعبيدنا وهو
حصن يعرف بناليت في طرف لواتة ، فاذا صرنا اليه

(157) الأصح الأنهار كما قلنا سابقاً .

(158) أبه ، أنها وأبها فعلن وقيل أبه للشيء أيها : نبيه ثم تفتن له . ابن منظور : لسان ،

واجتمعوا به ورأينا به لواتة وغيرها من القبائل ناصرتنا
أخرجناك إلينا ، ففعلوا ذلك فلما رأت بقية العجم الساكنين
بمدينة تاهرت ما فعلت الرسمية خرجت الى حصنها وفعلت
نفوسة مثل ذلك . ثم أقام أبو حاتم بعد ذلك أياما ، ثم خرج
وأخرج معه من وجوه أهل البلد من السحيين⁽¹⁵⁹⁾ وغيرهم
نحو مائة رجل ، وكان إخراجون معه حماة البلد منهم رجل
يعرف ببيكر بن يبيدي ، ومن السحيين⁽¹⁶⁰⁾ رجل يعرف
ببيكر بن الواحد . وكان هذان الرجلان فارسي المغرب ،
وبقيت لعامة ومتايخ البلد في جمع عظيم وعلموا أن الحرب
قد دهمتهم فأسرعوا في بنيان حصنهم ، ثم إن أبا حاتم لما
خرج اجتمعت لواتة كلها إليه . فأعطى الأموال وحمل على
خيل . فحتمت قبائل الصحراء إليه . خلا الحصن المعروف
بتاغست⁽¹⁶¹⁾ وأهل الصفرية⁽¹⁶²⁾ فإنهم مالوا الى المدينة ، ثم
جمع أبو حاتم جموعه وزحف الى المدينة من ثلاثة مواضع :
من القبلة والمشرق والمغرب ، فتوى بنفسه القبلة مع لواتة
والرستمية وما شايهم . وتوى المشرق العجم وصنهاجة ومن

(159) (160) وردت سحيين وهو خطأ في أصلنا والصحيح هو السحيين . ومن يمكن أو
يسوز أن يبنى رجس ببيكر بن الواحد ويكون من السحيين . ولعل التعريف من
سحيين لا يجرى السحيين .

(161) - حيث هي غربة المعروفة اليوم بتيلغمت في صحراء الجزائر على الطريق
الربعة بين مدينة الأغواط ومدينة غرداية وتبعد عن هذه الأخيرة بنحو 90 كيلومترا . وأنظر
باروي : لأزهر ، ج 2 ، ص 270-269 .

(162) - الصفرية : وهم أتباع عبد الله بن صفار وإليه النسبة . قيل سموا بذلك لصفرة
رجوعهم من كثرة العبودة وهذا ضعيف . أنظر شبرد : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ص 105 .
والصفرية كما هو معروف من مذاهب الخوارج .

شايهم ، وتوى المغرب طوائف⁽¹⁶³⁾ من الناس مع نفوسه ،
وكان قتال شديد من الوجوه الثلاثة . وكانت الدائرة من
الوجوه الثلاثة على أهل المدينة فقتل من ناحية القبلة رجل
من أهل دمر ، وقتل من ناحية المشرق رجل يعرف
با (...)⁽¹⁶⁴⁾ قتلته العجم ، ولم يصب من ناحية المغرب
أحد . وكانت مادة هذا المقتول رجل سيء الحال فلما قتل
ولده ، عدى على رجل يقال له جان من العجم من سكان
المدينة فقتله غيلة من غير أن يشعر به الناس ، فلما
علموا⁽¹⁶⁵⁾ الناس بالاذاة⁽¹⁶⁶⁾ بادروا إليه ليقتلوه به فولى
هاربا فلم يقدر عليه ولم يعرف له مكان ، فاجتمع الناس
فقالوا نحن إنما قمنا لمحاربة هؤلاء القوم لنأمر بالمعروف
وننهي عن المنكر ، وإذا كان يقتل بين ظهراننا رجل بغير
حق فامضوا بنا الى أبي حاتم لندخله يقتل هذا وإشباعه
ويحكم فين بقي كيف يشاء ، وأرسلوا بذلك الى أبي حاتم
فقال لا أفعل إلا أن تدفعوا الى مشايخكم ومن أثار هذه
الفتنة منكم ، فندم عند ذلك أهل المدينة وانكسروا عما كانوا
عليه ، وتجدد الحرب الى أن قال : واجتمع وجوه أهل المدينة
فقالوا إن القبائل رمتنا عن قوس واحد ، والاباضية قد

(163) طوائف : ربما يقصد بها الكثرة من الناس ونفذت لا عبد هذا المعنى في سوابق تاريخية
لأن الطائفة والطوائف تعني العداوة . أنظر ابن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 630 .

(164) بياض في الأصل .

(165) الأصح أن يقال « فلما علم الناس » .

(166) الأذاة : الأذى يقال أذاه يؤذي به أذى وأذية . ابن منظور : لسان ،

م 1 ، ص 41 .

كلبت علينا وهم لا يكفون عن حربنا ما لم يكن عندنا
رئيس من الرستيين ينحل مذاهب الاباضية ، وقد علمت ان
يعقوب بن أفلح مصارم لأبن أخيه منذ زمان ، وان ابا حاتم
منذ ولي ترحل يعقوب ونزل بزواغة فلم يدخل للرستية
جمعا ولا اعان ابن أخيه برأي ولا غير ذلك ، فأرسلوا إلى
يعقوب بن أفلح (167) .

ولاية يعقوب بن أفلح (168)

ولما اجتمع اهل المدينة على ولاية يعقوب بن أفلح
وأرسلوا اليه وادخلوه المدينة وعقدوا له الولاية انكسرت
شوكة الاباضية ودخل عليه جماعة منهم ، ورجعت اليه
جماعة من لواتة وبقيت الحرب متاسكة بين يعقوب بن أفلح
وابن أخيه أبي حاتم الا انها ضعفت وانكسرت نواكبتها
وجهور الاباضية مع أبي حاتم ، الى ان زحف وانودين (169)
بن معه وزحف أبو حاتم ومن معه ، فلما فعلا أمر يعقوب
بن أفلح بأبواب المدينة فغلقت الا بابا واحدا وقف عليه
يعقوب بجمهور الناس ويميل بالحملة من معه اذا قرب
العساكر منه ، فلم يزل الناس متواقفين الى ان حضر صلاة
الظهر ، فاذن المؤذنون في مصافهم ذلك وصلى الناس صلاتهم
ووانودين ومن معه قاتلون ينظرون الى الناس فيسقط في

(168) لاباضية لا يعتبرون يعقوب بن أفلح من أمة الدولة الرستية وكذلك لا يعتبر بن أبي
اليعتقان الذي ارتقى عرش الرستيين بعد مقتل الإمام أبي حاتم يوسف وإنما يعتبرون الدولة
الرستية وبدمتها انقطعت بموت الإمام أبي حاتم يوسف سنة 294 هـ . أنظر الدرجيني : طبقات .
ج 1 ، ص 94 . الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 272 وقد حكم يعقوب بن أفلح في نهرت بعد
خروج الإمام أبي حاتم منها أربع سنوات أي (284-281 هـ) . وأنظر عني يحيى معمر : لاباضية
في الجزائر . ص 83 .

(169) لأول مرة يذكر ابن الصغير هذا الشخص ، ولا يذكر عنه أي شيء اخر لا نجد له
ذكراً في الكتب الاباضية ما عدا الباروني الذي يذكره نقلاً عن ابن الصغير ويسميه « وانودي » .
الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 272 .

(167) لا تذكر المصادر الاباضية شيئاً عن منافسة يعقوب بن أفلح لابن أخيه أبي حاتم
يوسف بن أبي اليعتقان بن أفلح ولكنها تشير إشارة عابرة إلى أن أبا حاتم إطرذت له الأمور ولم
تصف أي شيء آخر ، أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 99 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84 .
الشماخي : سير ، ص 262 .

يديهم ، وتحولت نياتهم على المحاربة وندموا على قدومهم .
غير ان ابا حاتم ومن معه من العجم استداروا من جهة
مشرق وحلوا مصاف رجاء ان يصيبوا غرة⁽¹⁷⁰⁾ ففتح من
كان بناحية الباب الشرقي الباب وخرجوا اليه حملة واحدة
فولوا منهزمين بين ايديهم ، فلما رأى وانودين ما رأى
نصرف بعساكره وضعت الحرب بعد ذلك ، وتطامع الناس
في العافية . وكان يعقوب بن أفلح بعيد المهمة نزيه النفس
مجانس بيده دينارا ولا درهما ، وكان اذا اتى وكيله بغلاته
أمره ان يجعلها تحت بردعة له يجلس عليها . واذا اراد اخراج
شيء منها دفعه بقضيب من يده ، وكان اذا سافر ونزل يقوم
ثم يأكل لهم طعاما ، وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه
في اثناء جديده فاذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثا لا
يأكل طعاما ولا يشرب شرايبا ، ولا يخرج لبراز ، وكان
وضوءه طاهر (كذا) في الموضع الذي يكون فيه ، شهد منه
ذلك جماعة من صحب واستفاض ذلك عنه حتى صار
كأنه يمشي . وكانت له أخلاق في لباسه وركوبه ، يخرج عن
طبع البشر⁽¹⁷¹⁾ . حجرة سراويله في جنبه ، وركوبه فرسه
من بين يديه ، وكان له فرس اشقر لم يكن بالغرب مثله
بينه ولا بعده ، به يضرب المثل الى اليوم⁽¹⁷²⁾ . فلما طالت

نزاهة يعقوب
بن أفلح
وورعه

الحرب بينه وبين ابن أخيه ورقت . وتطامع الناس
العافية ، نزل أبو يعقوب المزاتي⁽¹⁷³⁾ بجميع مزاته حول البلد
وكان رأس القوم وملكهم ، فشت اليه القبائل وقالوا لو
جعلت الهدنة بين هذين الفريقين الى مدة معلومة يأمر
الناس اليها فقد قطعت السبل وفرغ من ايدي الناس
الحرث والنسل⁽¹⁷⁴⁾ ، فسعى في ذلك واجتهد حتى انتهى
الفريقان ، فقالوا ليعقوب قدم من يعقد لك الهدنة فقدم
عبد الله بن المططي صاحب المسئلة⁽¹⁷⁵⁾ في أعلى الكنار ،
(كذا) وقدم أبو حاتم منكود وابن ابي عياض اللواتيين⁽¹⁷⁶⁾ .
وبرز الناس من كلا الفريقين وسلموا الامر لمتولي عقد
الهدنة ، ففقدوا ان يرفعوا أيدي أبي حاتم ويد يعقوب عن
النظر أربعة اشهر ، ويمشي الناس الى الناس ويدخل بعضهم
على بعض وتأمين الساحات ، فتم العقد على ذلك وتطامع
الناس العافية ووجدوا حلاوتها . وكان أبو حاتم اذا لقي
أحدا من وجود أهل تاهرت وشبابهم استماله ، فان كان على
القرب استمال به الى نفسه ، وان كان على البعد زوده
وأعطاه ، فمالت قلوب الناس اليه . ومن⁽¹⁷⁷⁾ يشب في
سفك الذماء واكل الاموال فانه بقي متصلا بيعقوب . وأبو

(173) أبو يعقوب المزاتي من أرباب الثروة وكذلك قبيلته مزاة أنظر البازوني : الأزهار .

ج 4 ص 272 . ربه قال الإمام عبد الوهاب " إن أقدم هذه السنين بأصول مزاتية وسيكون
نفوسة " .

(174) وردت في الأصل " النهل " وهي تصحيف نسل .

(175) ذكره ابن الصغير في المناظرة التي جرت بين الإباضية والمعتزلة أنظر صفحة 82 .

(176) لا تذكر المصادر الإباضية هذين الشخصين .

(177) وردت في الأصل " من " وهي لا تؤدي المعنى المطلوب والصحيح " ومن " .

(170) وردت في الأصل " غرة " .

(171) وردت في الأصل " الشمر " .

(172) نفس هذه المعلومات تقريبا عن الفرس الذي يملكه يعقوب بن أفلح والذي به هرب

من قبضة العبيديين سنة 296 هـ إلى مدينته وارجلان . نجدها في المصادر الإباضية : أبو زكرياء :
ج 1 ص 104 .

يعقوب المزاتي دائما في اصلاح ما رأى فيينا للناس ذات يوم
في عيد من اعيادهم . اذ قبل رجلا من احرىات (١٨١)
على المدينة . ولم يكن في البلد اذ ذاك نوع منها جها رما
أكثر عشيرة ولا اسم قلبا ، يقال لأحدهما احمد والآخر محمد
يعرفان بين دبوس (١٨٢) ، وبين ايديها قفولهم (١٨٣) يقولون
من أراد "عافية" (١٨٤) فليصعد الى الكنيسة . وكانت دار
هاذين الرجلين تعرف بالكنيسة . فبادر الناس ولم يختلف
عنها احد خلا يعقوب وشيعته وبعض مشيخ ممن يشب في
عداوة أبي حاتم منهم شيخ يعرف بابن مسعود هو شيخ البلد
ومقدمه . فما رأى ابن مسعود اجتماع الناس واطباقهم على
هذين الرجلين صعد لهما وقال لهما ويحك ، الى ان قال :
فلما دخل ليليل ركب محمد واحد فرسيه وعلم بذلك من
من الناس فتبعوها وخرجا قاصدين نحو أبي حاتم وتصل
اخبار يعقوب وشيعته فركبوا خيولهم وخرجوا نحو زواغة
فبينما أبو حاتم في منزله وقصره بنهر مينة اذ دخل عليه محمد
وحمد وجدة الناس فقالوا قم فاركب الساعة فخرج معهم
وليس مع أحد من عشيرته ولا من رحاله فلم يصبح الا
على باب مدينة وبأدراية الناس أجمع .

(١٧٨) لا تذكر المصادر لابن ديبس . وتحتير في رأيت ما تحت ذكر ابن عمه
ومسحبه من هل تيهوت ونصب اهتاهم على الخيم ومسححي جبر غوسة وحسب القريية
من فقط .

(١٧٩) قفولهم : لا تذكرها المعجم والقواميس العربية . ونعني القفول . " جماعهم " وهي
من دية " قفولهم " .

(١٨٠) وردت في الاصل " للعافية " .

دخول أبي حاتم تاهرت وسيرته بها

قال : ولما دخل أبو حاتم مدينة تاهرت جمع مشايخ
البلد اباضيتها وغير اباضيتها فاستشارهم فيمن يوليه قضاء
المسلمين فقالوا له ان اباك لما دخل كدخولك ولي محمد بن
عبد الله بن أبي الشيخ وهو القاضي الذي قدمنا ذكره قبل
هذا (١٨١) ، ولمحمد ولد يسمى عبد الله وما هو دون أبيه في
الورع والعلم وأنت عالم بورعه ودينه كما نحن عالمون به فقال
اشتم وأحسنتم . وولاه القضاء ثم قال من ترون ان نولي
بيت "ال فقالوا عبد الرحمان بن صواب النفوسي ، فقال
أصبت وأحسنتم فقال من ترون أن نوليه الشرطة فقال قوم
زكار وقد قتل ابنه بين يديك وله نصيحة ، وقال قوم
ابراهيم بن مسكين فان له صلاته في الحق (١٨٢) ، فولاهما ،
جميعا وكان البلد قد فسدت وفسد اهليا في تلك الحروب ،
واتخذوا السكر أسواقا ، والغلمان اخذانا ، فلما ولي هذان
الرجلان الشرطة قطعنا ذلك في أسرع من طرفة العين ،
وحلنا على الناس بالضرب والسجن والقيد ، وكثرت الخواوي
بكل دار عظم قدرها أو صغر ، وشردت الغلمان واخذانهم الى

(١٨١) أنظر صفحة ٧٧ . هو قاضي الإمام أبي اليقظان ، وأنظر الشماخي : سير ، ص ٢٦٢ .

(١٨٢) يذكر الشماخي هؤلاء الأشخاص نقلا عن ابن الصغير ، أنظر سير ، ص ٢٦٣ .

رؤس الجبال وبطن الأودية ، وحمل الناس على الواضحة
وأخاف⁽¹⁸³⁾ النطف وأمن البرى⁽¹⁸⁴⁾ ، وشدت السراق
وقطاع الطريق ، وأمنت السبل ومثى الناس بعضهم الى
بعض . ولم ينقموا على ابي حاتم شيئاً ثم تقموا بعد ذلك شيئاً
أخذوا ناساً بالتهمة وضرب السوط على الظنة الا ان البلد
وقضاته وأصحاب بيت أمواله وأصحاب شرطته ومن بالبلد
من فقهاء الإباضية وغيرهم لم يطالب بعضهم ولا سعى
بعضهم ببعض . وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون
فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئاً الا ان الفقهاء
تناجت⁽¹⁸⁵⁾ المسائل فيما بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقة
ان تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها (كذا) ومن أتى الى حلق
الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه الطف مناظرة وكذلك
من أتى من الإباضية الى حلق غيرهم كان سبيله كذلك . قال
لي يوماً ، ونحن في أعلى مسجد بالرهادنة ، رجل من وجوه
الإباضية من هواره يسمى سليمان ويكنى بأبي الربيع⁽¹⁸⁶⁾ ،
من اين زعمت وزعم اصحابك وغيرهم من الحجازيين⁽¹⁸⁷⁾

ملاحم من
الحياة الفكرية
في عهده

(183) وردت في الأصل " خاف " .

(184) البري : أو البرية أو الورى شيء واحد والمقصود بها الخلق . أنظر ابن منظور :

سليمان . ج 1 . ص 206 .

(185) وردت في الأصل " تناجست " .

(186) أبو الربيع سليمان الهواري . تذكر المصادر الإباضية العديد من الأشخاص بهذا الاسم والكنية ولكنهم نفوسيون على أكبر تقدير . وأقربهم الى فترة ابن الصغير سليمان بن زرقون وسليمان بن ماطوس أبو الربيع . وكلاهما من الطبقة السابعة (350.300 هـ) أنظر الدرجيني : طبقات . ج 2 . ص 349 .

(187) لعله يقصد بالحجازيين أتباع الإمام مالك بن أنس (ض) أي المالكية .

والسراق⁽¹⁸⁸⁾ ان الرجل اذا زوج ابنته البكر وهي صغيرة
وأدركت ان لا خيار لها في نفسها وانتم تقولون ان الرجل
اذا زوج أمته وعتقت أن لها الخيار ولا فرق بين الأمة وبين
الصغيرة لأن الأمة لم يكن لها حكم في نفسها وانما كان الحكم
لسيدها فلما عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار
والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وان الحكم لأبيها فلما
أدركت صار الأمر اليها فلم منعوها ما أجزمت للأمة والمعنى
واحد ؟ فحكيت ما ذكر لي لغير واحد منهم وما اعتللت به
عليه فاعتلوا بعلمه وغير علمه وزادوا وتقصوا . وقد
جمعت⁽¹⁸⁹⁾ ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به
ومما يدخل لهم ، او ما ذكروه ، فقلت له ولغيره ممن
كانني ، إنا انما اجزنا نكاح الصغار لأن النبي ﷺ تزوج
عائشة بنت ابي بكر بنت سبع وبني بها وهي بنت تسع
فقال لي دعني من هذا فاني لا اجامعك عليها ، ولكن كلمني
من القراءان أو من باب النظر ، مع أني لو بينت لك الخبر
ما كان لك فيه حجة . لأنك تعلم ان الله أحل لرسوله من
النساء ومن عدهن أكثر مما أحل لأمته ، وأحل له الموهبة
بغير ذلك ، فان كان عندك حجة غير هذه فاذكرها والا
فلا تقم لك حجة ؟ قلت له فان أوجدتك صحة عقدها من
القرآن أترجى ؟ فقال لي من القرآن فقلت نعم فنكرر علي

(188) لعله يقصد بالعراق أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان (ض) أي الأحناف أو مذاهب

الشيعة .

(189) وردت في الأصل " اجتمت " وترجمها موتيلانسكي إلى تجمعت .

ثلاثاً وفي كل ذلك أقول نعم ، فقال فاذا ذكر لي ذلك فقلت له قال الله تبارك وتعالى : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الى واللائى لم يحضن » ⁽¹⁹⁰⁾ فقال لي عجباً منك ، أنا سألك عن عقد النكاح وفسخه وأنت تخبرني عن عدد المويسات ⁽¹⁹¹⁾ وعدة اللائي لم يحضن ؟ فقلت هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد ، قال وما غاب عني من ذلك ؟ فقلت أخبرني عن هذه العدد الموصفات من طلاق وقعن أم من غيره ؟ قال من طلاق ، قلت فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح ؟ قال لا ، قلت في المويسات فمنهن ⁽¹⁹²⁾ اللائي قد بلغن من السنين ما لا يحض مثلهن ؟ قال نعم ، قلت واللائي لم يحضن من الصغر قال نعم قلت فواجب الله عليهن عددا قال نعم ، قلت أمن طلاق أم من غير طلاق ؟ قال من طلاق ، قلت فيكون طلاق من غير عقد نكاح ؟ فسكت ولم يرد جواباً . فأعلمت غيره بما دار بيني وبينه فقال لي مضى ⁽¹⁹³⁾ في المطالبة لك ، فقلت فاذا ذكر لي ما مضى ⁽¹⁹⁴⁾ فيه ؟ قال قول الله « واللائي لم يحضن » المراد التي لم يخلق فيهن الحيض وهن الكبائر لا الصغار ،

(190) آية رقم 4 سورة الطلاق وتام الآية : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » .

(191) المويسات : ما ترد في القواميس العربية

(192) ربما الصحيح أن يقال « أفبينهن ... ؟ » .

(193) (194) وردت في الأصل « مضى » وهو تصحيف « مضى » على ما يبدو . وقد ذكر ابن منظور كلمة « مضى » ولكنها لا تؤدي المعنى المقصود في نص ابن الصغير ، أنظر لسان العرب ، ج 3 ، ص 496 .

قلت هذا غلط في اللغة يلزمك فيها من الشناعة أكثر مما يلزم صاحبك ، قال وكيف ذلك قلت « لم » لا توضع للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع « لم » ، « لا » فيقال لا تحيض ⁽¹⁹⁵⁾ فلانة إذا نفوا عنها الحيض أي ليست ممن تحيض ، وإذا قيل لم تحض فلانة معناه أنها لم تحض بعد وانها ستحيض في المستقبل . وربما حُرِّف خطباءهم اللفظ عن موضعه ليقموا الأمر الذي يريدونه ، حضرت لهم خطباء كثيرة أولهم ابن أبي دريس ، والثاني أحمد التيه والثالث أبو العباس بن فتحون ، والرابع عثمان بن الصفار ، والخامس أحمد بن منصور ⁽¹⁹⁶⁾ . فسمعت أحمد التيه يقرأ بعد فراغ إلى أن بلغ « تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى » ⁽¹⁹⁷⁾ فحرف المعنى عن موضعه أراد أن يقيم أصله وجعله ⁽¹⁹⁸⁾ باباً من الحلول على العرش ⁽¹⁹⁹⁾ . وكل

(195) في الأصل وردت هذه العبارة مرتبكة هكذا « قلت لم لا تضع إلا للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع لم لأن لاياً فيقال لا تحيض فلانة » والتصحيح من مطبوعة تونس .

(196) يذكر الشماخي هؤلاء الخطباء نقلاً عن ابن الصغير ، أنظر سير الشماخي ، ص 263 .

(197) آية رقم 5 سورة طه .

(198) وردت في الأصل « وحفله » .

(199) إن ابن الصغير هنا أمام اتهام خطير للإباضية بتحريف اللفظ عن موضعه في القراءان الكريم . ويبدو لنا من المثال الذي قدمه إلينا ابن الصغير وهو « الرحمن على العرش استوى » وقال بأن الخطيب الإباضي حُرِّف المعنى عن موضعه ليُجعل باباً من الحلول على العرش ، إنما قل ذلك من باب سوء الفهم ، فلعن الأمر هنا مجرد اختلاف في القراءات لا غير . أساء ابن الصغير فهم ذلك ، فتنت التهمة التي أطلقها متحرجاً (ربما) عن الإباضية لا يمكن فهم معناها وحملها إلا على هذا الوجه وأنها مجرد اختلاف في القراءات ، إذ الإباضية ، حسبنا فقه ، لم تنته بتحريف اللفظ أو الكلام عن موضعه في يوم من الأيام ، ولا أدل على ذلك من الخصمة التي سيذكرها ابن الصغير نفسه والتي قال فيها الخطيب الإباضي « الحمد لله الذي ابتداء الحق بنعمته الذي لم يزل بصفاته وأسمائه ، لا يشتمل عليه زمان ، ولا يحيط به مكان . خلق الأماكن والأزمان تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلفين ... » . أنظر بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية ، ص 327 وأنظر ابن الصغير في الخطبة التي بآخر كتابه .

من رأيت من خطبائهم على منابرهم فليس يستمعون الا
خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، خلا خطبة
التحكيم فانهم كانوا اذا فرغوا من الخطبة الأولى قاموا الى
الثانية وحكموا ، وسوف اذكر خطبة التحكيم فيما يلي هذا
الكلام . فلم يزلوا كذلك الى ان ولي الخطابة رجل منهم
يقال له احمد بن منصور ، وسمعت يخطب بهذه الخطبة ثم
يخطب بعدها بخطبة التحكيم ، فلقيته وعانيتها ⁽²⁰⁰⁾ ، وقلت
له ان خطبتك التي سمعت منك اليوم ليست من خطب
أسلافك ، فقال لي حملي عليها عثمان بن احمد بن
يحيى ⁽²⁰¹⁾ ، وكان مقدما عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما
استحسن لهم ، فخطبت بها لأنه استحسنها لي . والخطبة
هي هذه « الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمائه ، وتغمدهم
جميعاً بحسن آلائه ⁽²⁰²⁾ ، فوفق كل أمرء منهم في صباه ،
على طلب ما يحتاج اليه من غدائه ، وسخر له من
يكلوه ⁽²⁰³⁾ الى وقت استغنائه ثم احتج على من بلغ منهم
بالايت وحذر اليهم بانبائه واعذر اليهم بابلائه ، (كذا) الذي
لم يزل بصفاته واسائه ، لا يشغل عليه زمان ، ولا يحيط به
مكان . خلق الأماكن والازمان ثم استوى الى السماء وهي

النص الكامل
خطبتي جمعة

دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا
طائعين فقدرها احسن تقدير ، واخترعها من غير نظير ، لم
يرفعها باعده تدرك بالمعانية ، ولم يستعن عليها بأحد
استكباراً عن الشركة والمعاونة وزينها للناظرين ، وجعل
فيها رجوماً للشياطين فتبارك الله أحسن الخالقين ، تعالى ان
تطلق في وصفه اراء المتكلفين أو أن تحكم في دينه اهواء
المتقليدين ، بل جعل القرآن اماماً للمتقين وهدى للمؤمنين ،
وملجأً للمتنازعين ، وحكماً بين المتخالفين ودعاً أولياءه
المؤمنين الى اتباع تنزيله ، وامرهم عند التنازع في تأويله
بالرجوع الى قول رسوله ﷺ ، بذلك نطق حكم كتابه اذ
قال جل ثناؤه « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وأولي الامر منكم ، الى قوله واحسن تأويلاً » ⁽²⁰⁴⁾
وتعهد ⁽²⁰⁵⁾ نبيه ﷺ عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل
عليها اليه بأن بين لهم معنى ما أنزل عليه فقال « ما أنزلنا
عليك الكتاب الا لَتُبَيِّنَ لَهُم الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ » ⁽²⁰⁶⁾
ولم يكل لهم تعالى الى القول في دينه بأرائهم ، ولا اذن لهم
في مسامحة اهوائهم فتكون الاحكام مبتدعة ، والآراء
مخترعة ، والاهواء متبعة ⁽²⁰⁷⁾ بل احصاها كل شيء عدداً

(204) آية رقم 59 سورة النساء . وقام الآية « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » .
(205) وردت في الأصل « وتعبد » .
(206) آية رقم 64 سورة النحل وقام الآية « وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .
(207) وردت في الأصل « مبتدعة » .

(200) رجب الصحيح « عانيتها » .
(201) لا تذكر المصادر الإباضية عثمان بن احمد بن يحيى وعمره من المتقدمين ومن الذين لا
يخالفون في رأيهم . وقد ذكرنا فيما سبق أسباب إهمال المصادر الإباضية لكثير من أعمالها
التيهريتين خاصة .
(202) وردت في الأصل « بلائه » .
(203) كلاً . يكلأ : يحفظ . يحفظ : قال تعالى : « قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » أي يحفظكم .
انظر : ابن منظور : لسان . ج 3 . ص 281 .

وضرب لكل شيء أمرا ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة . احده حمدا يبلغ رضاه ويحسن الاله واستعينه على ما استحفطنا من ودائعه وحفظنا ما استودعنا من شرائعه وأومن به إيمان من اخلص له عبادته واستشعر طاعته . واتوكل عليه توكل من انقطع اليه ثقة به ورغبة فيما لديه واشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد مقرا له بالعظمة (208) والتجيد خائفا من انجاز ما قدم اليه من الوعيد واشهد ان محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا وارتضاه لخلق نبيا فاجده على حفظ ما ضمنه قويا وباء ما استودعه مليا وبالبدعاء الى ربه حفييا ومتوفقا عن ورود المشكلات ومثمرا عند انجلاء (209) الشبهات لا يرعوى لمن عدله ولا يلوى على من خذله ولا يطيع غير من ارسله يصدع بالامر ويطفى نار الكفر ولا تأخذه في الله لومة لائم . ولم ينحرف عنه لرغم راغم ارسله على حين فترة من الرسل ودرس من السبل وتضامن من اهل الملل ، والناس فريقان عالم متكبر وجاهل مستظير فالعالم الذي سبق له الخذلان ينزعه الشيطان ويجمع به تطفيان فيستنكف عن الدخول في دين الايمان ، والجاهل مستنكع في غيه متحير في امره منتظر ما يكون من غيره فلم يزالا يعكفان على الازلام ويعتصمان بالاصنام والرسول عنيه السلام يرعى السوام ويدعوهم الى دار

(208) وردت في الأصل " بالتعظمة " والصحيح " بالنعظمة " .

(209) وردت في الأصل " نجلاء " .

السلام فلم يزل يبين يعظهم بالآيات ويقرهم بالمعجزات حتى استقدم من ارد الله توفيقه من سائر اهل الديانات فبلغ الحقائق وأوضح المشكلات وزجر عن القول في الدين بالشهوات ، فحتم الله به النبيين واكمل به الدين واوجب به الحجة على العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين واخوانه من المرسلين وأوليائه من المؤمنين . ثم جلس ثم قام وقال : الحمد لله نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستنصره ونبرا من الخول والقوة اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فلا هادي له ونشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . الله ربنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا وركعة قبلتنا والقراءان امامنا . رضينا بحلاله حلالا وبجرامه حراما لا نبتغي عنه بدلا ولا عنه حولا ولا نستري به ثمنا لا حكم الا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام وخلافا لأهل البدع . لا حكم الا لله خلعا ونبد وغراف . جميع عدا الله . لا حكم الا لله ولو كره الجبارون احكامون بغيره . انزل الله واشهد ان من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظنون والافاسقون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحمهم محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت ورحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان . اللهم وارحم

" رآه في سينك أهل الفضل في الاسلام اللهم وسل على
 المائتين المباركين بعد نبيك محمد أبي بكر وعمر " امامي
 الحسن بما عملا به من كتابك وما أثراه من سنة نبينا اللهم
 وأصلح الأمير يوسف بن محمد⁽²¹¹⁾ ، أصلحه وأصلح على
 يديه ووقفه للخير ...⁽²¹²⁾ وأعنه عليه وافتح له من عندك
 أعوناً وانصار على طاعتك اللهم اعزز به الاسلام وأهله
 وأذل به الكفر وأهله . انصره نصراً عزيزاً ، وافتح له فتحة
 بسراً وهب له من عندك سلطاناً نصيراً . كفى بك ولياً
 وكفى بك نصيراً . اللهم اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا
 بالآثمين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك
 رؤوف رحيم . ثم قرأ : قل هو الله أحد " ⁽²¹³⁾ ثم نزل .

٢١٠ (210) هذا ملاحظ توقف بعض الإبدئية . على الآخر . عند خليفتي الصبرين عثمان بن
 علي بن الحسين بن أبي طالب بن عبد المطلب لا يعني سورة التوبة لا يعني أن يكون
 مدية حديثه عن الخطبة ذكر أنها ليست من خطب أسلاف أحمد بن منصور الخطيب وإنما كانت
 غيب عثمان بن أحمد بن يحيى ربما يكون من المتطرفين .
 (211) هو الإمام أبو حامد يوسف بن أبي اليقظان محمد . سادس الأئمة الرستقيين .
 (212) بيان في الأصل .
 (213) هي سورة الإخلاص في القرآن الكريم ورقعها : 112 .

قائمة المصادر والمراجع والدوريات المعتمدة في التحقيق :

— ابن الأثير عز الدين علي بن أبي الكرم (ت 630هـ) : الكامل في
 التاريخ ، تحقيق نخبة من العلماء ، ط 2 ، دار الكتاب العربي .
 بيروت ، 1387هـ/1967م .

— ابن جميع أبو حفص عمر : مقدمة التوحيد ، شرح أبي العباس الشماخي
 وأبي سليمان التلاقي ، ط 2 ، الجزائر ، 1392هـ/1973م .

— ابن حزم علي الظاهري : (ت 456هـ) انفسل في الملل والأهواء
 والنحل ، دار الكتاب اللبناني بيروت . بلا تاريخ الطبع .

— ابن عذاري المراكشي أبو عبد الله محمد : (ت في نهاية القرن السابع
 الهجري) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س.
 كولان وليفى بروفنصال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1948 .

— ابن منظور محمد بن مكرم : (ت 711هـ) : لسان العرب المحيط : اعداد
 يوسف الخياط وآخر دار لسان العرب ، بيروت ، 1970م .

— أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ) : كتاب سير الأئمة
 وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي ، إصدارات المكتبة الوطنية .
 الجزائر ، 1399هـ/1979م .

— أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر : (ت 732هـ) تقويم البلدان ،
 تصحيح رينودو وآخرين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس 1840م .

١- المعرف بأحمد بن يوسف (قطب الأئمة) (ت 1332 هـ/ 1913 م) : رسالة

إن لم تعرف الإباضية يا عقي، يا جزائري، تصحيح قاسم بن سعيد³

الشاخي العامري وآخر، بلا مكان الطبع الحجري، 1328 هـ. ، أنقذ للتيسيم

— الألباني محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. ط 2. المكتبة الإسلامية، عمان، الدار السلفية الكويت، 1404 هـ/ 1983 م.

— الباروني سليمان بن عبد الله : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية. مطبعة الأزهار البارونية، مصر (بلا تاريخ الطبع)

٣١/٧/٩٤٦ — بحار إبراهيم بكير : الدولة الرستمية 160 هـ/ 296 هـ دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، أطروحة ماجستير في جامعة بغداد سنة 1983. وهي تحت الطبع.

— شرادي أبو القاسم محمد بن إبراهيم (القرن الثامن الهجري) : الجواهر المنتقاة في بقاء ما أحل به كتاب الطبقات، طبعة حجرية، قسنطينة، 1٠٠2 هـ.

— البكري أبو عيسى الله (ت 487 هـ) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. جزء من كتاب المسالك والممالك، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1857.

— ترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى : (ت 279 هـ) : سنن الترمذي بشرح الاحوذى، طبعة حجرية دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، بلا تاريخ الطبع.

— جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

١٣١ ٧/٩٤٦

383/920

ناصر الدين السعيدوني

١- الوصف الخلدوني -
٢- الوصف الخلدوني -
٣- الوصف الخلدوني -

سنة الله أبو القاسم تاريخ الخلدوني

305/١/960

— الخيطي أبو طاهر إسماعيل بن موسى : (ت 750 هـ) قواعد الإسلام، ط 1، تحقيق بكلي عبد الرحمن، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1976 م.

— دائرة المعارف الإسلامية، إشارات جهان - تهران، بوذر جمهرى، مادة : (بنو رستم)، السودان.

٤ — دبوز محمد علي : تاريخ المغرب الكبير، مطبعة عيسى الباي الحلبي، القاهرة، 1383 هـ/ 1963 م.

٥ — الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت حوالي 670 هـ) : كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394 هـ/ 1974 م.

— ديوان أمرء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 3، دار المعارف مصر، ضمن سلسلة ذخائر العرب رقم 24، 1389 هـ/ 1969 م.

— الراوي عبد الستار عز الدين : ثورة العقل، دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982 م.

٦ — زامباور : معجم الأنساب والأسماء الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1370 هـ/ 1951 م.

٧ — الزركلي خير الدين : الأعلام، ط 3، بالأوفست، بيروت، 1969/1389.

— السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ) : تاريخ الخلفاء، دار الثقافة، بيروت، لبنان (بلا سنة الطبع).

١٧/٦/٩٤٦

٤٢/٩٤٠

المغرب العربي
١٥٩/١/٩٤٠

١٧٦/٩٤٠

٢٨/٩٤٠

٢٨/٣/٩٤٦

أخبار لاش الصغرى تحققت محمدنا عمر إبراهيم حجازي، الخلدوني

٣٠/١/٩٤٠

١٥/٥/١٩٥٦

المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن : (ت 346هـ) مروج الذهب
ومعادن الجواهر ، ط 4 ، دار الأندلس ، بيروت 1401هـ/1981م .

معمر علي يحيى : الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 4 ، الإباضية في
الجزائر ، مطبعة الدعوة الإسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
1399هـ/1979م . 19/3/215

مهدي هاشم طالب : الحركة الإباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها
حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة
بغداد ، 1977م . 8/3/215

الميلي محمد مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، مكتبة النهضة
الجزائرية ، الجزائر ، 1350هـ/1931م . 91/1/960

النديم أبو الفرج محمد بن أسحاق : (ت 380هـ) كتاب الفهرست ، تحقيق
رضا تجدد بلا مكان الطبع ، 1391هـ/1971م . 55/020

الوارجلاني أبو يعقوب يوسف (ت 570هـ) : الدليل لأهل العقول ،
المطبعة البارونية الحجرية ، مصر ، 1306هـ .

وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، دار
البعث ، قسنطينة ، عدد 45 ، 1397هـ/1977م .

الوسيطي أبو الربيع سليمان بن عبيد السلام : (ت 6هـ) كتاب السير ،
مخطوط بحوزة الشيخ بابانو بني يسجن غرداية ، الجزائر .

ياقوت الحموي : (ت 626هـ) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،
1397هـ/1977م . 93/040

ج ١٥
د ١٢
هـ ١٣
و ١٤
ز ١٥

١١٥-
١١٣/١٢١٥ = ١١٥

الشماسي أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 928هـ) . كتاب السير ، طبع
حجري قسنطينة ، الجزائر 1301هـ .

الشهرستاني أبو الفتح بن عبد الكريم : (ت 548هـ) : الملل والنحل ،
دار الكتاب اللبناني بيروت ، وهو يهامش كتاب الفصل في الملل لابن
حزم ، بلا تاريخ الطبع . 2/1/215

الظري محمد بن جرير : (ت 310هـ) : تاريخ الرسل والملوكة ، تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، 1968م .

عبد الوهاب بن منصور : السفارات الملكية والعلاقات بين المشرق
والمغرب ، جريدة البصائر ، الجزائر ، عدد : 179/178 ،
1371هـ/1952م .

عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، جامعة الأردن ، عمان ،
1978م . 10/3/215

عوض خليفات : النظم الإحتجاجية والتربوية عند الإباضية في شمال
أفريقية في مرحلة الكتان ، عمان ، الأردن ، 1982م .

فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ،
ط 2 ، بيروت 1979م . 85/5/956

فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج 3 ، عمان ، 1983م .

ميرد أبو العباس حمد بن يزيد (ت 285هـ) : الكمال في النعمة (باب
الخوارج) ط 2 دار الحكمة دمشق ، 1972م . 9/808

محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، دار العودة ، بيروت ،
1976م . 93/5/956

فهرس الاعلام

- أ -

- أبان : 53
 ابراهيم بن الأغلب : 71
 ابراهيم بن مكين : 101
 ابراهيم (النيء عليه السلام) : 109
 ابن أبي دريس : 105
 ابن أبي عياض اللواتي : 99
 أحمد بن بشير : 15 - 81 - 83 - 88
 أحمد بن الحسين : 38
 أحمد بن دبوس : 100
 أحمد بن منصور : 105 - 106 - 110
 أحمد التيه : 105
 إسماعيل بن درار الغدامسي : 26
 إسماعيل العربي : 17
 أطفيش أحمد بن يوسف (الشيخ) : 39
 الأغلب (بنو) : 71
 إفلح بن العباس : 86 - 87
 أفلح بن عبد الوهاب (الامام) : 15 - 21 - 47 - 55 - 59 - 61 - 62 - 73 - 86
 الألباني محمد ناصر الدين : 12 - 28
 الياس بن منصور : 86
 أمرو القيس (الشاعر) : 75
 أمية (بنو) : 32
 الأوس (بنو) : 45 - 47 - 63

— اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : (ت 284هـ) : البلدان ، ط 3 ، النجف 1377هـ/1957م .

— اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : (ت 284هـ) : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت 1379هـ/1960م . 49 / 900

المراجع الأجنبية

- Actes du 14^e Congrès International des Orientalistes à Alger 1905. 3^{eme} partie imp. Orientale Paris 1908 traduction de la Chronique d'Ibn Seghir par A.de C. Motylinsky.
- Les Cahiers de Tunisie, Revue des sciences humaines, faculté des lettres de Tunisie Tome XXIII N° 91-92 3^e et 4^e trimestre 1975 réimpression de la Chronique d'Ibn Seghir en Arabe.
- Lewicki Tadeusz : l'Etat Nord-Africain de Tahert et ses relations avec le Soudan Occidental à la fin du VIII^e au IX^e 5. Cahiers d'Etudes Africaines vol II, (8) Paris 1962.
- Provençal E. Levi : Histoire de l'Espagne Musulmane imp. Durand. Leiden. 1950.

ملحوظة :

بعد الانتهاء من اعداد الكتاب للطبع وصلنا من القاهرة كتاب اخبار الائمة لابن الصغير بتحقيق الدكتور حسن علي حسن لذلك لم نعتده في مصادرنا .

- ب -

الباروني سليمان (الشيخ) : 69

باسية رينيه : 23

البرادي أبو القاسم : 18 - 37

بشير (أحد المقربين للإمام أبي اليقظان : 87

أبو بكر بن أفلح (الإمام) : 16 - 21 - 23 - 54 - 59 - 61 - 70 - 73 - 74

بكر بن الواحد : 94

بكر بن يبيدي : 94

بو بكر الصديق (ض) : 110

البلاذري : 5

أبو بلال مرداس بن أدية : 32

بلحاج (الشيخ) : 39

- ج -

جابر بن زيد الأزدي (إمام الإباضية) : 25

جان (من تعجب) : 95

جودت عبد الكريم يوسف : 6 - 80

- ح -

أبو حاتم المزوزي : 19 - 20

أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان (الإمام) : 13 - 16 - 18 - 23 - 86 - 89 - 91 - 102 - 110

أبن حزم محمد بن علي الظاهري : 38

أحسن البصري : 82

أبو حمزة الشري : 32

حمود بن بكر : 86 - 87

حمويه : 53

بو حسين سمعان بن ثابت (الإمام ص) : 92 - 103

- خ -

أبو خالد بن أبي اليقظان بن أفلح : 89

أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع : 26, 27

أبن خلدون عبد الرحمان : 6

خلف بن السمع : 69

خلف الحاذق : 1

- د -

أبو داود التقي النغراوي : 26

الدبور محمد علي (الشيخ) : 39

أبن دبوس : 100

الدرجيني أبو عباس أحمد : 18

أبو دنون : 92

- ر -

أبو الربيع سليمان : 102 - 104

- ز -

زكار : 101

زكرياء بن أبي اليقظان بن أفلح : 79 - 80

أبو زكرياء الوارجلاني : 17 - 19 - 20 - 22 - 23 - 55

- س -

أبو سابق : 87 - 89

أبو سعيد الله : 46

سليمان بن زرقون : 102

سليمان بن ماطوس : 102

سليمان بن يعقوب بن أفلح : 23

سليمان موني محمد بن عبد الله : 78 - 80

السمع بن أبي الخطاب عبد الأعلى : 69

- ش -

شعيب بن مدمان : 78

الشيخ أبو العباس أحمد : 18 - 61 - 105
الشيخ أبو الفتح محمد : 48

- ص -

ابن الصغير : 9 - 17 - 20 - 22 - 25 - 26 - 38 - 51 - 53 - 61 - 62 - 75 - 78 - 80 - 83 - 99 - 102 - 105 - 110
ابن الصغير الجوزي (غير صاحب كتاب) : 81

- ط -

طائي محمد : 8

- ع -

عائشة بنت أبي بكر الصديق (ض) : 103
عاصم السدوسي : 26
أبو العباس بن عبد الوهاب : 50 - 52
أبو العباس بن فتحون : 105
بنو عباس (العباسيون) : 21 - 55 - 64
بن عبد الحكم : 5
عبد الرحمن بن رستم (الأمم) : 18 - 20 - 25 - 39
عبد الرحمن بن صواب النفوسي : 101
عبد العزيز بن لاوير : 61 - 62 - 85 - 87
عبد الله بن باطل التميمي : 25
عبد الله شريط : 6
أبو عبد الله شيباني : 18 - 28 - 81
عبد الله بن الصغير : 94
عبد الله بن أبي عمير : 81 - 82 - 99
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي شيخ : 101
عبد الله بن مسعود : 38
عبد الله بن وهب الرازي : 37
عبد الله بن يزيد : 37 - 38
عبد الواحد : 33

عبد الوهاب بن أبي اليقظان : 89

عبد الوهاب بن عبد الرحمن (الأمم) : 15 - 16 - 20 - 21 - 36 - 48 - 55 - 69 - 73 - 98

عبد الوهاب بن منصور : 59

أبو عبيدة الأعرج : 83 - 84

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة : 26 - 27

أبو عبيدة معمر بن المثنى : 84

العبيدون : 81 - 98

عثمان بن أحمد بن يحيى : 106 - 110

عثمان بن الصفار : 105

عثمان بن عفان (ض) : 110

ابن عرفة محمد : 15 - 16 - 21 - 61 - 68

علوان بن علوان : 92

علي بن أبي طالب (ض) : 12 - 13 - 28 - 78 - 81 - 92 - 106 - 110

علي يحيى معمر : 68

عمر بن الخطاب (ض) : 110

عوض خليفات : 38

عيسى بن عمر : 38

عيسى بن عمير : 38

عيسى بن فرناس : 81 - 86 - 87

عيسى بن مريم (النبي عليه السلام) : 85

- غ -

غزالة (زوجة الامام أبي اليقظان) : 89

- ف -

فورنيل : (مستشرق) : 19

- ق -

ابن قتيبة عبد الله بن مسلم : 84

- ل -

ليفسكي (مستشرق) : 14

- م -

مسكراي (المستشرق) : 17

منث بن أنس (ص) امام المذهب المالكي : 102

المتوكل (الخليفة العباسي) : 21 - 56

محكم الهواري : 49 - 52

محمد بن بكر : 81 - 86

محمد بن حاد : 92 - 93

محمد بن ديوس : 100

محمد بن زوياح : 92 - 93

محمد بن عبد الله (ض) : 28 - 103 - 107 - 110

محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ أبو عبد الله : 77 - 79 - 101

محمد بن مسألة : 73 - 74

أبو محمد الصيرفي : 72

محمود بن الوليد : 69

محمود إسماعيل : 14

المختار بن عوف : (أنظر أبو حمزة الشاري) :

مدرار (بنو) : 85

مثنى أحمد توفيق : 6

مرون بن محمد (الخليفة الأموي) : 32

مسألة (بنو) : 45 - 46

أبو مسعود : 100

أبو مسعود : 92

مستوفي جون

المعتد (الخليفة العباسي) : 56

منكود اللواتي : 99

متهدي (الخليفة العباسي) : 56

موتيلانسكي (المستشرق) : 7 - 9 - 13 - 14 - 17 - 23 - 35 - 75 - 94 - 103

الملي محمد مبارك : 14

ميمون بن عبد الوهاب : 17

- ن -

النويري (المؤرخ) : 20

- ه -

هارون الرشيد : 71

الهيثي : 28

- و -

الوائقي (الخليفة العباسي) : 21 - 56

ابن الواسطي : 72

واصل بن عطاء : 82

وانودين أو وانودي : 97 - 98

وداد القاضي : 11 - 16

ابن وردة : 54 - 73

الوسياتي أبو الربيع سليمان : 55

وهب بن أبي اليقظان : 89

- ي -

يزيد بن أبي أنيسة : 38

يزيد بن حاتم : 20

يزيد بن فندين أبو قدامة : 37 - 38

يعقوب بن أفلح (الامام) : 14 - 15 - 18 - 22 - 23 - 96 - 100

أبو يعقوب المزاني : 98 - 99

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني : 36

اليقوي (المؤرخ) : 26

اليقظان بن أبي اليقظان (الامام) : 14 - 16 - 23 - 89 - 97

أبو اليقظان إبراهيم : 9 - 29 - 74

أبو اليقظان بن أفلح (الامام) : 11 - 13 - 15 - 18 - 21 - 22 - 54 - 56 - 59 - 61 - 63

65 - 70 - 91

فهرس البلدان والأماكن

- أ -

اسكندال : 73
اسلن : 47
الأغواط : 94
إفريقية : 54 - 71
إفريقيا الشمالية : 8 - 17 - 19 - 32 - 38
الأندلس : 5 - 26 - 29
الأوراس : أنظر جبل الأوراس .

- ب -

البحرة : 11 - 12 - 28 - 29 - 32
بغداد : 21 - 26 - 56 - 59 - 76

- ت -

تالغمت : 94
تاملون : 74
تاهرت : أنظر تيهرت
تسلون : 74 - 88
تلسان : 39
تتابغيت : 73
تونس : 8 - 71 - 105
تيلغمت : 94
تيهت : 8 - 11 - 21 - 23 - 25 - 29 - 38 - 41 - 44 - 47 - 54 - 59 - 68 - 69 - 73
77 - 81 - 83 - 86 - 91 - 94 - 97 - 99 - 100 - 101 - 106

- ج -

جبل أوراس : 49
جبل نفوسة : 18 - 23 - 39 - 69 - 75 - 85 - 86
جبل ينجان : 48
جربة (جزيرة) : 18 - 39
الجزائر : 7 - 8 - 10 - 17 - 25 - 94
جنبي : 20

- ح -

الحجاز : 12
حصن لواتة : 74
حصن غاليت : 93

- د -

دجلة (نهر) : 58
الدينور :

- ر -

الرهانة : 84 - 102

- س -

سجلماسة : 85
السودان (الغربي والأوسط والشرقي) : 32 - 62

- ش -

الشفة الحمراء : 67

- ص -

الصحراء : 32 - 94

- ط -

طرابلس : 22 - 39

- ع -

العراق : 12 - 61 - 63 - 103

- غ -

غانة (ملكة) : 62
غرداية : 94

- ف -

الفرات (نهر) : 58
فرنسا : 8

- ق -

القرارة : 18 - 39
قلعة نفوسة : 76
القيروان : 11 - 12 - 32

- ك -

الكديية : 44
الكنيسة (موضع بتيهت) : 69
لخوف : 11 - 12 - 32 - 84 - 92
كوكو (ملكة) : 62

- م -

مانو : 22

مجانة : 54

مدينة السلام : أنظر بغداد

المشرق : 6 - 21 - 28 - 32 - 59 - 63 - 69 - 86 - 91 - 95

مصر : 5

مصلى الجنائز : 80

المعصومة : 81

المغرب : 5 - 8 - 14 - 17 - 22 - 26 - 28 - 32 - 39 - 41 - 45 - 46 - 55 - 59 - 69 - 74

98 - 95 - 94 - 85 - 75 -

المغرب الأدنى : 54

المغرب الأوسط : 20

مكة : 56.55

ميزاب (وادي) : 7 - 14 - 17 - 18 - 39

مدينة (نهر) : 74 - 82 - 100

- ن -

نهر أبي سعيد : 46

نهر إسلان : 47

- و -

وادي ميزاب : أنظر ميزاب

وادي هواره : 46 - 74

وأرجلان : 23 - 98

وهبران : 25

فهرس القبائل والمذاهب والأمم

أ -

الابن خزيمة : 5 - 46 - 51 - 52 - 59 - 64 - 68 - 69 - 73 - 77 - 86 - 92 - 96 - 97 - 99 - 100 - 102 - 105 - 106 - 110

الأثر : 56 - 57

الأتين : 26

ب -

البربر : 19 - 20 - 45

ت -

تيم الرباب : 84

تيم قريش : 84

ج -

الحجازيون : 92 - 103

الحنابلة (المذهب) : 92 - 103

خ -

الحنفية أو الخلفيون : 69

الخوارج : 5 - 17 - 19 - 20 - 22 - 25 - 94

د -

دمشقي : 95

ر -

الرباب (قبيلة عربية) : 84

الرسنية (العائلة) : 62 - 71 - 73 - 94 - 96

ز -

زناتة : 55 - 91

زواغة : 96 - 100

س -

سدراة : 41

المحيون : 69 - 94

ش -

الشراة : 46 - 50 - 55 - 63 - 110

الشيعة : 12 - 13 - 92 - 103

ص -

الصفورية (مذهب) : 85 - 94

الصقالية : 57

صنهاجة : 95

ع -

العجم : 54 - 55 - 63 - 69 - 73 - 94 - 95

العرب : 70 - 72 - 75

العسكرية : 38

العمانية : 38

العمرية : 38

العلوية : 12 - 13

محتويات الكتاب

| | |
|--------|---|
| الصفحة | مقدمة التحقيق |
| 5 | ترجمة ابن الصغير والتعريف بكتابه |
| 11 | تاريخ «ابن الصغير عن أئمة تاهرت الرستمين لموتلانسكي (تعريب) |
| 17 | كتاب ابن الصغير |
| | ذكر بعض الأخبار عن الأئمة الرستمين |
| | منقول من ابن الصغير |
| 25 | ولاية عبد الرحمن بن رستم |
| 26 | مبايعته إماماً |
| 28 | عدل عبد الرحمن |
| 28 | معاونة أباضية المشرق لعبد الرحمن |
| 31 | رخاء وأمن الدولة الرستمية |
| 32 | الإزدهار التجاري والعمراني |
| 33 | المعونة الثانية ورفض عبد الرحمن قبولها |
| 35 | النظام الإداري والاقتصادي |
| 36 | وفاة عبد الرحمن |
| 37 | ولاية عبد الوهاب وماكان من أمره |
| 38 | الإزدهار والرخاء أيام حكمه |
| 41 | بيان السبب الذي كان له وجه الإفتراق |
| 44 | فتنة النكار |
| 45 | الإفتراق الثاني |
| 46 | خروج عبد الوهاب لقتال بني أوس |
| 47 | شجاعة أفلح |
| 48 | ترشيح أفلح |